



قطوف

(واحد وخمسون ثمرة)
للمعلمين والمربين
والدعاة والمصلحين

قطوف

«واحد وخمسون ثمرة»

للمعلمين والمربين والدعاة والمصلحين»

تأليف:

شائع بن محمد الغبيشي

مكتبة الرشيد

RUSHD BOOKSTORE

ناشرون 1399 1979

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى أمي الغالية

حفظها الله التي أرضعتني حب الخير والصلاح وسقتني لبان التميز،
وتعهدتني بفيض حبها وجميل نصحتها.

إلى أبي الحبيب ﷺ

الذي بذل حياته لأجلنا، وصحبنى في رحلة تعليمي بالتوجيه
المشوب بالحب والرحمة.

إلى زوجتي الوفية...

إلى أخي وأخواتي وذريتي...

إلى رفقاء الدرب وأصدقاء الروح أهدي هذه القطوف.



المقدمة

الحمد لله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى من الضلالة وأنقذ من الغواية؛ صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن من عظيم منّة الله علينا أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس - أمة محمد ﷺ - فرضي لنا الإسلام ديناً؛ خاتم الأديان، جاء به أفضل الأنبياء وسيد المرسلين فتوالت علينا المنن وتتابعت النعم.

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

ولذا كان لزاماً على أتباع هذا الدين العظيم أن يقوموا بنصرته والدعوة إليه،

كيف لا وقد اجتباهم الله واختصهم، فجعلهم مسلمين يتمون إليه، وبذلك كانوا

شهداء على سائر الأمم، فله الفضل والمنة، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ

جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

فالدعوة إلى الله والجهاد في تبليغ دينه تشریف واختيار واجتباء منه سبحانه:

﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ﴾ «أي: اختاركم -يا معشر المسلمين- من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة، بالقيام بالجهاد فيه حق القيام»^(١).

وهذا الاختيار يضحّم التبعة، ويشعر بالاختصاص والاصطفاء، وإنه لإكرام من الله لهذه الأمة، ينبغي أن يقابل منها بالشكر، وحسن الأداء، وهو تكليف محفوف برحمة الله.

إنه توجيه رباني لحملة راية الدعوة إلى الله ﷻ، توجيه محفوف بالتكريم، لمن نصّب نفسه لحمل همّ الدين، وجنّدها للدعوة إليه، فضلاً عما سيجنّيه من هذه الوظيفة الغالية من قطوف دانية، وثمار يانعة، فطوبى لمن اقتطف من تلك الثمار، وطوبى لمن تلذذ بذلك الجني.

هذه القطوف دانية، قد أينعت ثمارها، وتدلت تفتش عن يد تقطفها، فالألوان جميلة أخاذة، والرائحة طيبة زكية، ذلت قطوفها لكل نفس تواقّة إلى أطياب الثمار، جهّدت في سقي أصولها، وتعهد تربتها، ليطيب القطف لمن يجتنّيه، واحد

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٤٧).

وخمسون ثمرة من ثمرات الدعوة إلى الله وتعليم العلم ونشر الخير، جعلتها محفزاً
لنفسه أولاً، علّها تذوق تلك الثمرات، فتبدد ما بها من طبع كسول، فأستنقذها
من آفة الفتور والاشتغال بتفاهات الأمور، وأهديتها لكل محب للخير علّها تعمق
بذل الخير في نفسه، ولكل مربّب، وداعية، ومعلم للخير، لتكون حادي الطريق
وزاد المسير في رحلة غربته، وطريق جهاده ودعوته، جمعتها في كتاب عنونت له
بـ(قطوف)، سائلاً الله ﷻ أن يتقبله بقبول حسن، وينبته نباتاً حسناً، ويجزي خيراً
كل من ساهم في مراجعته أو أبدى فيه رأياً ومشورة، وأسأل الله الحي القيوم بمنّه
وكرمه وأضرع إليه أن يجعله خالصة لوجهه الكريم، به المستعان، وعليه التكلان،
ولا حول ولا قوة إلا به.

شائع بن محمد الغبيشي

المملكة العربية السعودية

محافظة القنفذة- حلي

الثمرة الأولى: ولاية الله ومحبته

ولاية الله ومحبته أشرف المطالب، وأعلاها، بل هي أعظم مغنم الحياة، إليها شمّر المشمرون الأبرار، وبها فاز المصطفون الأخيار، والدعاة إلى الله هم أوفر الناس ظفرًا بذلك، فهم أحب أهل الأرض إلى الله، هم أولياؤه، وأصفياءه، وأحباؤه، أوقفوا حياتهم لخدمة دينه ونشره في الأرجاء، وبدلوا في ذلك أنفسهم، ونفائسهم، فاستحقوا وصف الولاية. يجلي ذلك الإمام الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معلقًا على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فيقول: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله... (١).

وبين النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أولى الناس بنيل شرف المحبة أنفعهم، فيقول: «أحب الناس إلى الله أنفعهم...» (٢). وهل هناك أعظم نفعًا من دلالة الناس على الهدى ودعوتهم إلى الخير والصلاح؟! لذا نقل إلينا الإمام الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول بعض أصحاب النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله أن أحب

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١٨٠).

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٨٦١)، والأوسط (٦٠٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

عباد الله إلى الله: الذين يحبون الله إلى عباده، ويحبون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة»^(١).

ويذكر الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ صفة مَنْ أَحَبَهُ اللهُ رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «فمن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته فأوجب له ذلك القرب منه والزلفى لديه والحظوة عنده»^(٢).

ويهتف الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ بالراغب في القرب من الله ونيل ولايته قائلاً: «ألست تبغي القرب منه؟ فاشتغل بدلالة عباده عليه فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم أن ذلك أثر عند حبيبيهم»^(٣).

وما أجل قول بعض السلف: «أهل المحبة لله نظروا بنور الله، وعطفوا على أهل معاصي الله، مقتوا أعمالهم، وعطفوا عليهم، ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم، وأشفقوا على أبدانهم من النار»^(٤).

أخي المبارك، ألا تحلم بالقرب من الله والزلفى لديه والحظوة عنده سبحانه؟ ألا تحلم أخي أن يحبك خالق السماوات والأرض؟ فيحبك الكون كله، علويه

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٢٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٣٣٧).

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي (٢٥).

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب، (١/ ٣٠٨).

◆ ————— واحد وخمسون ثمرة للمعلمين والمربين والدعاة والمصلحين

وسفليه، فدونك أقرب الطرق الموصلة إلى ذلك؛ خدمة دين الله، ودعوة الناس إليه، عندها تفوز بمحبة الله، فيفيض عليك من موارد التوفيق وأسباب الفلاح ما لا يعلمه إلا هو سبحانه.



الثمرة الثانية:

العزة والكرامة

الإسلام دين العزة والكرامة، ومن سعى في خدمته وإعزازه أعزه الله وأكرمه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] بَيْنَ جَلٍّ وَعِلا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَإِنَّهَا جَمِيعُهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلِيُطَلِّبَهَا مِنْهُ وَلِيَتَسَبَّبَ لِنَيْلِهَا بِطَاعَتِهِ جَلٌّ وَعِلا، فَإِنْ مَنْ أَطَاعَهُ أَعْطَاهُ الْعِزَّةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (١).

قال إبراهيم الخواص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين، فذلك قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

لقد أعلى الله من قيمة العلماء العاملين الداعين إليه حيث قرنهم باسمه ﷻ، وفي ذلك أعظم الكرامة وغاية العزة قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، (٦ / ٢٨٠).

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، (١٠ / ٣٢٧).

ففي هذه الآية دليل على فضل العلم، وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء، وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم (١).

ويشجذ الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ الهمة لطلب العلم فيقول: «ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين والالتحاق بعالم الملائكة وصحبة الملائكة الأعلى لكفى به فضلاً وشرفاً، فكيف وعز الدنيا والآخرة منوط به، ومشروط بحصوله (٢).

ولكن من الذي ينال هذه المنزلة العلية؟ هل يناله كل طالب للعلم؟ يبين ذلك الإمام ابن القيم فيقول: «فمن طلب العلم ليحيي به الإسلام فهو من الصديقين ودرجته بعد درجة النبوة» (٣).

وهذا الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ يسبق إلى هذا المعنى فيقول: «عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السموات» (٤). والمعنى أن أهل السماوات يدعونه كبيراً لكبر شأنه؛ لجمعه العلم والعمل والتعليم (٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤ / ٤١).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١ / ١٠٤).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١ / ١٢١).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٨٥).

(٥) تحفة الأحوذى، المباركفوري، (٧ / ٣٨٠).

فمن يريد العزة لنفسه والكرامة في الدنيا والمنازل العالية في الآخرة فعليه بالدعوة إلى الله ﷻ، والسعي في نصرة هذا الدين، والدعوة إليه، والتبشير به؛ ليدعى كبيراً في ملكوت السموات والأرض، وينال أفضل المقامات وأشرفها، كما وصف ابن القيم رحمه الله الدعوة حين قال: أي الدعوة المخصوصون به، الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته، وهؤلاء هم خواص خلق الله، وأفضلهم عند الله منزلة، وأعلاهم قدرًا،... فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد (١).

أخي المبارك، حين تحمل مشعل الهداية؛ لتنير به القلوب، كن فرحاً بما خصّك الله به من الرفعة والإعزاز، فالقرآن يهتف بك: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] «فهذه الآية الكريمة من أوضح الآيات في الدلالة على فضل الدعوة، وأنها من أهم القربات، ومن أفضل الطاعات، وأن أهلها في غاية من الشرف وفي أرفع مكانة» (٢).

فيا من يطمع في شرف الدنيا والآخرة دونك مضممار الدعوة إلى الله، ونشر الخير، والدلالة على الهدى، والتربية على الصلاح، انضم إلى جموع المشاركين فيها.

يرقى لمن أهدى الرشاد عقولا

قل لي بربك هل علمت مكرماً

وسعى لينتقد غافلاً وجهولا

من مثله وهب الحياة جمالها

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ١٥٣).

(٢) الدعوة إلى الله، وأخلاق الدعوة، ابن باز (٣٠).

صلى عليه الله في عليائه
كم علم الإنسان من آدابه
كم قاد في الظلماء قلباً تائهاً
وشفى العليل برحمة ومودة
إذ كان يجهد للرعيلى دليلاً
وهدى إلى النور المبين سبيلاً
وتلا عليه الآي والتنزيلاً
ما كان يوماً وانياً وكسولاً



الثمرة الثالثة: الرفعة في الدنيا والآخرة

الدعوة إلى الله سر الرفعة في الدارين يُعلي الله من شأن أهلها فيُعظم ثوابهم ويجعل لهم في قلوب الخلق مكانة عليّة، تسمو على كل مكانة ومنزلة، وفي الآخرة يرتفعون إلى الدرجات العلى من الجنة، فطوبى لهم يوم عمروا أوقاتهم وحياتهم بالدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

مدح الله العلماء في هذه الآية والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم ﴿دَرَجَاتٍ﴾ أي درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به (١). ويرفعهم «بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإيواء إلى عُرف الجنان في الآخرة» (٢).

إن الله ﷻ إذا أراد بعبده خيراً رزقه العلم المفضي إلى الإيمان والعمل والدعوة، تلك والله أنفس الغنائم، وأربح التجارات، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمٌ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧ / ٢٩٩).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٨ / ٢٢٠).

أَبَعَثَ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ ﴿٢﴾ وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبّه والمؤهلون للمراتب العالية (١).

وما أجمل تعليق الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الآيَةِ حِينَ قَالَ: «بَيْنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ

يرفع درجات أهل العلم، وما ذاك إلا لعظم آثارهم في الناس ونفعهم لهم، ولهذا قال أهل العلم: ما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح آثار الناس عليهم، فأثارهم بتوجيه الناس إلى الخير، وإرشادهم إلى الحق، وتوصيلهم للهدى، وهي آثار عظيمة شكرها الله لهم، وشكرها المؤمنون، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام فهم الهداة والدعاة، وهم أعلم الناس بالله وبشريعته، وأفضل الناس بعد الرسل أتبعهم لهم، وأعلمهم بما جاءوا به، وأكملهم دعوة إليه، وصبراً عليه، وإرشاداً إليه» (٢).

فيا راغب الرفعة في الدنيا والمنازل العالية الرفيعة في الجنان، دونك ميدان السباق، اركب فرس عزمك، وتعهد سرجه ولجامه، واعدّ به مع العاديات تثير النقع، وتتوسط الجمع، فنعم العدو عدوك، ونعم الجمع جمعك وعند الصباح يحمد القوم السرى.

وركبُ سرّوا والليل مرخٍ رواقه

على كل مغبّر الموارد قائم

(١) الفوائد لابن القيم (١٠٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٣٠٤) (٢٣/ ٣٠٠).

حدوا عزمات ضاقت الأرض بينها
فصار سراهم في ظهور العزائم
أرتهم نجوم الليل ما يطلبونه
على عاتق الشعري وهام النعائم
فأموا حمى لا ينبغي لسواهم
وما أخذتهم فيه لومة لائم^(١).



(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (ص: ٦).

الثمرة الرابعة: محبة النبي ﷺ

محبة النبي ﷺ نعيم عاجل، ولذة حاضرة، وحلاوة إيمانية، تصبغ الحياة بالأنس والسرور والنعمة والحبور، والمسلم يحلم أن يظفر بهذه الثمرة العزيزة، كيف لا وهو يسمع النبي ﷺ يهاتفه قائلاً: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(١).

وأعظم طريق إلى ذلك تبليغ ما جاء به من الدين ونشره بين العالمين؛ تأمل قول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ لكفى به فضلاً، وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه، وي بذل جهده وطاقته فيها، ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة؛ فالمبلغ عنه ساعٍ في حصول محابه، فهو أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهو نائبه وخليفته في أمته، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم وأهله»^(٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في بيان ثمرة تبليغ سنة النبي ﷺ: «والنصرة لمن

(١) رواه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٧٣).

نصره، والسعادة لمن اتبعه، وصلوات الله وملائكته على المؤمنين به والمعلمين للناس دينه، والحق يدور معه حيثما دار، وأعلم الخلق بالحق وأتبعهم له أعمالهم بسنته وأتبعهم لها» (١).

كيف لا يحلم الداعية بمحبة النبي ﷺ والأشواق قد عبثت بقلبه، فهو يطمع في لذة أخرى أعظم حلاوة من اللذة التي يذوقها في هذه الحياة، إنها لذة اللقاء به ﷺ في عرصات القيامة، إنها لذة ورود حوضه، إنها لذة الشرب في كيزان اللؤلؤ شربة لا ظمأ بعدها، فله ما أعظم اللقاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي أبعد من أيلة، من عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولأنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه»، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليّ غراً محجلين من أثر الوضوء» (٢).

وعن أبي برزة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطولها، فيها مزاربان ينشعبان من الجنة من ورق وذهب، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، فيه أباريق عدد نجوم السماء» (٣).

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، (٥ / ٢٣٣).

(٢) رواه مسلم (٢٤٧).

(٣) رواه ابن حبان (٦٤٥٨)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، (٧٢٢).

حُقَّ للنفوس أن تتوقَّ وحُقَّ للقلوب أن تشتاق حُقَّ لها أن تقول:

نسینا فی وداک کل غال فأنت الیوم أعلى ما لدينا
نُلام علی محبتکم ویکفی لنا شرف نلام وما علينا
ولما نلقکم لکن شوقاً یذکرنا فکیف إذا التقینا
تسلی الناس بالدنیا وإنّا لعمر الله بعدک ما سلونا

إن أولى الناس بمحبة النبي ﷺ والقرب منه يوم القيامة وورود حوضه ونيل شفاعته هم الدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى لنبیه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. «أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله، فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسوله، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه»^(١). «وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله»^(٢).

ولقد حث ﷺ على تبليغ الدين ونشره بين الناس فقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»^(٣). فحق على أحبابه وأتباعه أن يقوموا بنشر دينه وسنته، وأن يفنوا أعمارهم في ذلك.

(١) جلاء الأفهام، ابن القيم، (٤١٥).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٥٩ / ٣).

(٣) رواه البخاري، (٣٤٦١).

قال ابن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَحَقُّ - وَاللَّهِ - عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَيَّ مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَيَذْكُرَ بِالْقُرْآنِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَيَنْهَى عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ» (١).



(١) جامع البيان في تأويل القرآن، القرطبي (١٦ / ٢٩٢).

الثمرة الخامسة: الفوز بمحبة الملائكة

الملائكة عباد مكرمون يحبون العلماء والدعاة إلى الله، يجوبون الأرض التماساً لمجالسهم، وحباً لصحبتهم، تأمل معي أخي الداعية حال الملائكة وهي تُبْصِرُ خطوك المبارك في تبليغ دين الله كيف تتجاوب مع هذه الجهود وتلك الخطوات، ها هو حبيبنا ﷺ يجلي لكل داعية إلى الله ما لا تبصره عينه من فرح هذه المخلوقات بطالب العلم الذي يريد أن يطلب العلم ليبلغه وينشره في الأرض، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقاً يتبغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم...»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاءً على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه، ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً له وتوقيراً، وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له... عن صفوان بن عسال قال: قلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم قال: «مَرَحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٢٢٣).

لَتَحْفُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّىٰ يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ»^(١)، ففي هذا الحديث حفّ الملائكة له بأجنحتها إلى السماء وفي الأول وضعها أجنحتها له؛ فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل، والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة، فتضمّن الحديثان تعظيم الملائكة له وحبها إياه وحياطته وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفاً وفضلاً»^(٢).

إن الداعية وهو يدعو إلى الله ويعلم العلم وينشره بين الناس ويربي عليه ويعرّف بهدي محمد ﷺ، عليه أن يتذكر أنه حين يقوم بهذا الدور العظيم معه من ملائكة الله من يعضده ويفرح به ويدعو له ويثبته وينادي بعضهم على بعض أن هلموا إلى حاجتكم، لا حاجة لهم إلا هو تأمل قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحْفُوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ...»^(٣).

إن استشعار هذا الأمر لهو من أعظم ما يحدو الداعية والمربي ومعلم الخير إلى أن يواصل السير في طريق الدعوة إلى الله دون كللٍ أو ملل.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٣٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٩٧).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ٦٣) بتصرف.

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٨).

الثمرة السادسة: دعاء المخلوقات

أن يدعو الإنسان لنفسه ويلهج بالاستغفار فذلك من هدي المرسلين ودأب الصالحين، لكن أن يلهج له الكون كله بالاستغفار والدعاء فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، فيختار ويجتبي لذلك صفوتهم، تلك غنيمة الدعاة إلى الله ومعلمي الخير فما أعظم أرباحهم، جعلني الله وإياكم منهم بمنه وكرمه؛ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلُّون على معلم الناس الخير»^(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر»^(٢).

ولسائل أن يسأل: لم كل هذه العناية والحفاوة من الملائكة وسائر المخلوقات

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٤٢١٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١١٢٤٣).

بمعلم الخير؟ يجب على ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «لما كان تعليمه للناس الخير سبباً لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم، جازاه الله من جنس عمله؛ بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سبباً لنجاته وسعادته وفلاحه، وأيضاً فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرًا لدين الرب وأحكامه، ومعرفًا لهم بأسمائه وصفاته، جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهاً به، وتشريعاً له، وإظهاراً للثناء عليه بين أهل السماء والأرض،... فإنه لما كان العالم سبباً في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصوراً على هذا، وكانت نجاة العباد على يديه، جُوزي من جنس عمله، وجُعل من في السموات والأرض ساعياً في نجاته من أسباب الهلكات، باستغفارهم له، وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم»^(١).

ويؤكد ذلك الإمام المناوي رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «لأنهم لما ورثوا عنهم تعليم الناس الإحسان وكيفيته والأمر به إلى كل شيء ألهم الله الأشياء الاستغفار لهم مكافأة على ذلك»^(٢).

وقال أيضاً: «إن الله رَحِمَهُ اللهُ وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير؛ أي يستغفرون لهم طالين

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ٦٣).

(٢) فيض القدير، المناوي (٤/ ٥٠٥).

لتخليهم عما لا ينبغي ولا يليق بهم من الأوصار والأدناس؛ لأن بركة علمهم وعملهم وإرشادهم وفتواهم سبب لانتظام أحوال العالم»^(١).

ويجلي الإمام بدر الدين بن جماعة رَحِمَهُ اللهُ شرف الرتبة التي وصل إليها دعاة

الخير فيقول: «واعلم أنه لا رتبة فوق من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له وتضع له أجنحتها»^(٢).

أيها الداعية، تذكر وأنت تقوم بجهدك الدعوي وتسهم في نشر دين الله هذه الثمرة الجليلة، استشعر وأنت تخطو إلى ميادين الدعوة والإصلاح أن كل ذرة تطؤها قدمك وكل مخلوق تمر به يلهجون لك بالدعاء والاستغفار، أي فوز حققته؟! وأي غنيمة ربحتها؟! قل لي بربك أيها الداعية من مثلك في هذه الحياة؟! قل لي بربك كيف يدب إلى نفسك الكسل أو يصيبك الفتور والوهن؟!



(١) فيض القدير، المناوي (٤/٥٦٨).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة (٧).

الثمرة السابعة:

إرث النبوة

الأنبياء هم صفوة خلق الله، اصطفاهم سبحانه لتبليغ دينه، وتلك هي أشرف منازل الخلق، ويليهم في الشرف ورثتهم وهم العلماء الذين يعلمون العلم ويدعون الناس إلى الله ﷻ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورثوا دينارًا ولا درهماً، وإنما ورثوا العلمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(١).

يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم فهم خلفوا الأنبياء في أمهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته والنهي عن معاصي الله والذب عن دينه... فالعلماء في مقام الرسل بين الله وبين خلقه كما قال ابن المنكدر: «إن العالم بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل عليه»^(٢).

أي سعادة تغمر فؤاد الداعية إلى الله حين يستشعر أنه قائم مقام الأنبياء! «فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧-٢١١٧).

(٢) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب (١ / ٤).

إلى ورثته، إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده، ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء، كانوا أحق الناس بميراثهم، وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم، فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم فكذلك هو في ميراث النبوة، والله يختص برحمته من يشاء، وفيه أيضًا إرشادٌ وأمرٌ للأمة بطاعتهم واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة، وخلفاؤهم فيهم، وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين وبغضهم منافٍ للدين، كما هو ثابت لموروثهم، وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معادة ومحاربة لله، كما هو في موروثهم»^(١).

ولذا كان السلف الصالح يشحذون الهمم إلى إنفاق الأعمار في الدعوة إلى

الله والدلالة عليه، قال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عبادته، وهم الأنبياء والعلماء»^(٢).

وقال عطاء الخراساني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن أوثق أعمالني في نفسي نشري العلم»^(٣).

ولكن متى يفوز العبد بشرف وراثته النبوة ويقلد وسامها؟ يبين ذلك الآجري رَضِيَ اللهُ

فيقول: «أن يحفظوا سُنَّتَهُ على أمته وينقلوها، ويعلموا الناس شريعته ودينه، ويأمرهم

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ٦٦).

(٢) صفة الصفوة، أبو الفرج ابن الجوزي (٢/ ٢٣٢).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (٥/ ١٩٩).

بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فإذا فعلوا ذلك فهم ورثة الأنبياء»^(١).

ويجلي ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «ورثة الأنبياء سادات أولياء

الله ﷺ، وفيه تنبيه للعلماء على سلوك هدي الأنبياء وطريقتهم في التبليغ؛ من الصبر والاحتمال، ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان والرفق بهم، واستجلاهم إلى الله بأحسن الطرق، وبذل ما يمكن من النصيحة لهم، فإنه بذلك يحصل لهم نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره الجليل خطره»^(٢).

| | |
|------------------------------|---|
| الدين شمس والضحي العلماء | وهم الشفاء لكل ما هو داء |
| الوارثون الأنبياء وحسبهم | شرفاً بهذا الوصف وهو حياء |
| هم للقلوب حياتها وجهادهم | حق وهم للمدلجين ضياء |
| حملوا لواء الخير وانطلقوا به | وبهم تأسى في الهدى الرحماء ^(٣) . |



(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١/ ١٣٠).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم (١/ ٦٦).

(٣) في الأدب العربي السعودي، أحمد الغزوي (١١٣).

الثمرة الثامنة: بقاء الآثار بعد الموت

ما أجمل أن يمتد عمر الإنسان بعد رحيله عن صفحة الحياة، لتُفتح له صفحات أخرى تُملاً فيها حسنات آثاره التي تنبض بالحياة حتى بعد توقف قلبه عن النبض، لأنه نبض لا يتصل بالبدن بل يتصل بالأرض التي كان يخطو عليها، فما كان لتلك الآثار أن تُمحي أو يتوقف نبضها، تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وهي آثار الخير... التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيهِ عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيراً من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجداً، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تُكتب له، وهذا يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك»^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (٦٩٣) بتصرف.

وقد أخبر النبي ﷺ أن تعليم العلم ودعوة الناس إلى الله يستمر نفعه للعبد بعد الممات، فعن أبي أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

«كل ما تسلسل الانتفاع بتعليمه مباشرة أو كتابة فإن أجره جارٍ عليه، فكم من علماء هداة ماتوا من مئات السنين وكتبهم مستعملة، وتلاميذهم قد تسلسل خيرهم»^(٢).

«فأي معروف أعظم من العلم؟ وكل معروف ينقطع إلا معروف العلم والنصح والإرشاد، فكل مسألة استفيدت من الإنسان فما فوقها حصل بها نفع لمتعلمها وغيره فإنه معروف وحسنات تجري لصاحبها، وقد أخبرني صاحب لي كان قد أفتى في مسألة في الفرائض وكان شيخه قد توفي أنه رآه في المنام يقرأ في قبره فقال: المسألة الفلانية التي أفتيت فيها وصلني أجرها»^(٣).

«فيا لها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة وصحف حسناته متزايدة، تُملئ فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون،

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار، السعدي (١١٣ - ١١٤).

(٣) الفتاوى السعدية (١١٥) بتصرف.

وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم،
وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويسبق السابقون إليها،
وتوفر عليها الأوقات، وتتوجه نحوها الطلبات. فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل
خير أن يفتح علينا خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنه وكرمه»^(١).

إلى الداعية ومعلم الخير، ألا تطمع أن تُهدى إليك الحسنات وتتوافد عليك
الأجور وأنت في أمس الحاجة إليها إذا وُسدَتَ قبرك وحِيلَ بينك وبين الطاعات؟
ألا تطمع أن يضاف إلى عمرك أعمارٌ أخرى؟ إن كنت تطمع في ذلك فكن داعياً إلى
الله ﷻ معلماً للخير دالاً عليه.

| | |
|----------------------|---------------------|
| اكتب لنفسك قصة | ترقى بها نحو القمم |
| كن للهداية باذلاً | أيام عمرك فاغتنم |
| يا من بذرت سنابلاً | الغرس غرسك لا تنم |
| عند الرحيل عن الدنيا | تشدو الملائك بالعلم |
| في كل يوم ترتقي | آثار سعيك في شمم |
| جنات عدن أزلفت | قد زال فيها كل هم |



(١) طريق الهجرتين، ابن القيم (٣٣٣-٣٣٦) بتصرف.

الثمرة التاسعة: الهداية والثبات عليها

الهداية مطلب عزيز المنال فهي سر سعادة العبد في الدارين، فالعقل اللبيب يفتش عن أسبابها، ويجهد لتحصيلها، فإذا ظفر بها جهّد في تنميتها وزيادتها والحرص على الثبات عليها، ومن أعظم السبل لنيل الهداية دلالة الخلق على الله ﷻ وهدايتهم إلى سبيله، فمن وقف نفسه للدعوة إلى الله ﷻ أكرمه سبحانه بزيادة الهدى والثبات عليه، فالجزاء من جنس العمل، من جهد في هداية الخلق زاده الله هداية وثبته على الدين، جزاءً وفاقاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وأعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر»^(١).

والآية تدل «على أن من جدّ واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣ / ٣٢٤).

نَوْعِي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين»^(١).

بل الذي يجهد في نصرته دينه ﷺ يفوز بتأييد الله وتثبيتته على الحق الذي يحمله؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

«هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، ويسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «كما أن هدايته للغير وتعليمه ونصحه يفتح له باب الهداية فإن الجزاء من جنس العمل فكلما هدى غيره وعلمه هداه الله وعلمه فيصير هادياً مهدياً»^(٣).

ولذا كان من دعائه ﷺ: «... اللهم زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ واجعلنا هداة مهدين»^(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٦٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٧٨٥).

(٣) رسالة ابن القيم (١٠).

(٤) رواه النسائي (١٣٠٥)، والإمام أحمد (١٨٣٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١).

وما أعظم الدعاء الذي أهدها ﷺ لجريير بن عبد الله ﷺ حينما اشتكى إليه أنه لا يثبت على الدابة فدعا له بقوله: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا»^(١)؛ فجعلها ﷺ دعوة عامة لتشمل الثبات على الدابة والثبات على الدين ثم ختمها بقوله «واجعله هاديًا مهديًا» في إشارة لطيفة إلى أن السعي في هداية الناس من أسباب الثبات.

والمأمل في قول الله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿تَخُنْ نَفْسٌ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣، ١٤] يجد أن المولى جل وعلا كافأهم على صدعهم بالحق ودعوتهم إلى الله ﷻ بأن ربط على قلوبهم وثبتهم على الحق وزادهم هدىً إلى هداهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان حتى صبروا على هجران قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف»^(٢).

وقال النسفي رحمه الله: ﴿﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾﴾: وقويناها بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام»^(٣).

(١) رواه البخاري (٣٠٧٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/٦٨).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي ص (٢/٢٨٨).

وما أعظم قول الإمام الزهري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان مَنْ مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يُقبض قبضًا سريعًا، فنشر العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله»^(١).

«والدعوة إلى المنهج الصحيح ببذل الوقت، وكّد الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل، يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة، زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق والمعاندين وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعوي، فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه، فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم، وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر؛ لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم»^(٢).



(١) رواه الدارمي بسند صحيح (٩٧).

(٢) الثبات على الهداية، المنجد (١٧).

الثمرة العاشرة:

فوز الداعية بأجر المهتدين والمنتفعين بدعوته

التجارة مع الله أربح التجارات، وأعظم المتاجرين مع الله الدعاة إليه سبحانه؛ لأن الله ﷻ يضيف أرصدة المهتدين إلى أرصدتهم دون أن ينقص رصيد المهتدي شيئاً، فما أعظم الغنم، وما أربح التجارة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»^(١).

«فكل من علمَ علماً أو وجَّه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله أو بحقوق الخلق العامة والخاصة فهو داعٍ إلى الهدى... وكل من اهتدى في علمه وعمله فاقتدى به غيره فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من تقدم غيره بعمل خيري أو مشروع عام نافع فهو داخل في هذا النص، فالداعون إلى الهدى هم أئمة المتقين، وخيار المؤمنين»^(٢).

«وهذا يدلنا على فضل الدعوة إلى الله وما فيها من الخير العظيم، وأن داعي إلى الله جل وعلا يُعطى مثل أجور من هداه الله على يديه، ولو كانوا آلاف

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) بهجة قلوب الأبرار، السعدي (٣١).

الملايين، وتعطى أيها الداعية مثل أجورهم، فهنيئًا لك أيها الداعية إلى الله بهذا الخير العظيم»^(١).

قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة، من أعز الناس عليه، وأقربهم إليه، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب يتتبع الناس به في حياتهم، ومن بعدهم، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد يتتبع الناس بعلمه وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى، فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فيتتبع به إلا كان له نصيب من الأجر»^(٢).

ومن تتبع سير العلماء رحمهم الله وجد عنايتهم العظيمة بخواص طلابهم، ليكونوا بعد ذلك خير من ينشر علمهم ويذيعه بين الناس، فيكونوا من الآثار الباقية التي تُوصل إليهم حسنات ما أذاعوه من العلم، ومثل هؤلاء العلماء رحمهم الله لا يزال خير دعوتهم وتعليمهم يملأ في صحائفهم آلاف الحسنات على مر العصور، خذ مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية وكيف أولى عنايته بتلميذه ابن القيم رحمهما الله واستنقذه من شبك البدعة، فحل عنه قيودها، وأراه طريق الهدى، ومطلع الإيمان، يحكي ذلك ابن القيم فيقول:

(١) الدعوة إلى الله، الشيخ ابن باز (٣٢).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، بدر الدين ابن جماعة (٦٣).

يا قوم والله العظيم نصيحة
جربت هذا كله ووقعت في
حتى أناح لي الإله بفضله
حَبْرٌ أتى من أرض حران فيا
فالله يجزيه الذي هو أهله
أخذت يدها يدي وسار فلم يرم
ورأيت أعلام المدينة حولها
ورأيت آثارًا عظيمًا شأنها
من مشفق وأخ لكم معوان
تلك الشباك وكنت ذا طيران
من ليس تجزيه يدي ولساني
أهلاً بمن قد جاء من حران
من جنة المأوى مع الرضوان
حتى أراني مطلع الإيمان
نزل الهدى وعساكر القرآن
محجوبة عن زمرة العميان^(١).

فكان الإمام ابن القيم سبباً لانتشار علم شيخه ابن تيمية بعد موته، قَرَّب علمه
وسهَّله، فكل حرف من كلم ابن القيم حسنات تجري ومعين عذب لا ينضب يروي
صحائف أعمال شيخ الإسلام رحمة الله عليهما.

رُب كلمة ألقاها العبد أو خُلِقَ بَثُّه أو كُتِبَ وَزَعُه أو نصيحة أسداها أو رسالة
كتبها أو مقطع نشره لم يُلقِ لها بالاً فكانت سبباً لهداية أناس، ربما لا يعرفهم أو
جمعتهم الصدفة بهم فعملوا من الأعمال ما لا يطيقه من صلاة وصوم وتلاوة وذكر
وصدقة وإحسان ودعوة إلى الله ﷻ، فكل تلك الأعمال مسطورة في صحيفته، في

(١) متن القصيدة النونية، ابن القيم (ص: ١٤٣).

كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولو كان مثقال ذرة، فطوبى ثم طوبى
ثم طوبى له يوم أن اختار طريق الدعوة إلى الله ﷻ.

إن المتأمل في سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه وأرضاه يجد أنه مات
مبكرًا في غزوة أحد، لكن والله ما أطول عمره! كيف لا وقد أفناه في الدعوة إلى الله،
فكبار الصحابة من الأنصار هم من ثمار دعوته، لقد نزل مصعب على أهل المدينة
يحدثهم ويذكرهم، يقرأ عليهم القرآن، ويدعوهم إلى الإسلام، فهدى الله على يديه
سادة الأوس والخزرج، وأقبل الله عليه بقلوب أهل المدينة، حتى قل دارٌ من دورها
إلا أسلم فيها أناس، أسلم أشرفهم وساداتهم.

خذ مثلًا واحدًا على ذلك سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي اهتز لموته عرش الرحمن
ما هو إلا حسنة من حسنات مصعب، فما بالك بأسيد بن الحضير وثابت بن قيس
وقبائل الأوس والخزرج ذكورًا وإنائًا، كلهم من نتاج دعوة مصعب، وكل أعمارهم
تزداد في عمره رضي الله عنه، فهو من أطول الصحابة عمرًا وإن مات مبكرًا.

إن الداعية إلى الله ﷻ من أطول الناس عمرًا، لأنه يجمع إلى عمره أعمار من
استقاموا بدعوته، ومن تعلموا منه، فما أعظمها من حياة! تلك الحياة التي تحلق
بصاحبها عاليًا ليكون مع السابقين المقربين.

يقول ابن القيم رحمته الله: «إن العالم إذا زرع علمه عند غيره ثم مات جرى
عليه أجره وبقي له ذكره، وهو عمر ثان، وحياة أخرى، وذلك أحق ما تنافس فيه

المتنافسون ورغب فيه الراغبون» (١).

تأمل هذه الحادثة: قال عطاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت له ما يبكيك قال: ليس أحد يسألني عن شيء» (٢).

إن سعيداً رحمه يبكي حرقاً وحرناً على عدم نشره للعلم وعدم قدوم السائلين عليه لأنه بذلك قد حرم أجراً كثيراً.

فشمر أيها الداعية والمعلم والمربي عن ساعد الجد وابدل كل ما تستطيع من جهد لتفوز بالأجور الوفيرة والحسنات الغزيرة والله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، بادر ما دام في العمر بقية، بادر ما دُمت في زمن الإيمان.

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| فبادر إذا ما دام في العمر فسحة | وعدلك مقبول وصرfk قيم |
| وجد وسارع واغتنم زمن الصبا | ففي زمن الإيمان تسعى وتغنم |
| وسر مسرعاً فالسير خلفك مسرعٌ | وهيهات ما منه مفر ومهزم |
| فهن المنايا أي واد نزلته | عليها القدوم أم عليك ستقدم |

تدارك الفرصة قبل أن تندم على فواتها، وإياك ثم إياك والتسويق، قال **الماوردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:** «فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يعجله، حذرًا من فوته وبيادر به خيفة عجزه، ويعتقد أنه من فرص زمانه، وغنائم إمكانه، ولا يمهله ثقة

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/١٤٨).

(٢) سنن الصالحين وسنن العابدين، أبو الوليد الباجي (١/٢٥٤).

بالقدرة عليه، فكم من واثق بقدرة فاتت فأعقبت ندمًا، ومعول على مُكَنَّة زالت فأورثت خجلًا، ولو فطن لنوائب دهره وتحفظ من عواقب فكره لكانت مغارمه مدحورة ومغانمه محبورة. وقيل: من أضع الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والله سبحانه يعاقب من فتح له بابًا من الخير فلم ينتهزه بأن يحول بين قلبه وإرادته فلا يمكنه بعدُ من إرادته عقوبةً له»^(٢).

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها فلا تدري السكون متى يكون



(١) فيض القدير، المناوي (٤ / ٢٨٢).

(٢) زاد المعاد، ابن القيم (٣ / ٥٠١).

الثمره الحاديه عشره:

بركه الحياه

البركه في العمرة هبه ربانيه، يخص الله بها من شاء من عباده المصطفين الأختيار، وأعظم طريق لنيل هذه الهبه السير على منهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله ونشر الخير بين الناس وبذل العلم؛ لذا نجد نبي الله عيسى عليه السلام يذكر منة الله عليه إذ جعله مباركًا معلمًا مربيًا باذلاً للمعروف ناشراً للخير فيقول: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١] «أي في أي مكان، وأي زمان، فالبركه جعلها الله في؛ من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به نالته بركته، وسعد به مصاحبه»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «قال سفيان بن عيينة: معلماً للخير، وهذا يدل على أن تعليم الرجل الخير هو البركه التي جعلها الله فيه؛ فإن البركه حصول الخير ونماؤه ودوامه، وهذا في الحقيقة ليس إلا في العلم الموروث عن الأنبياء وتعليمه»^(٢).

أيها الداعية، إنها البركه في العمر، إنها بركه الحياه، أفلا تطمع أن تكون مباركًا

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٩٢).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/١٧٤).

أين ما كنت؟ إنك لن تحوز هذه البركة حتى تكون داعياً إلى الله، هادياً للعباد مفتاحاً لكل خير، قد شغلت عليك الدعوة إلى الله وقتك وهمك، عندها بإذن الله تظفر بهذه الهبة الربانية.

إن من أعظم فرص الحياة التعرض للنفحات الربانية، والمنح الإلهية، بالإسهام في نشر الخير، والدلالة على الهدى، لنيل بركة الحياة، فهذا ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يهتف قائلاً: «إن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حلَّ، ونصحه لكل من اجتمع به، قال الله تعالى إخباراً عن المسيح: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي معلماً للخير داعياً إلى الله مذكراً به مرغباً في طاعته، فهذا من بركة الرجل، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومُحقت بركة لقائه والاجتماع به»^(١).



(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص ٥).

الثمرة الثانية عشرة: الحصول على أجر الرعيل الأول

حَمَلُ الدعوةِ إلى الله في الأزمنة المتأخرة حِمْلٌ ثَقِيلٌ، ومن هنا كان من كرم الله وجوده على من يحمل هم الدعوة إليه والانتصار لدينه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يجعل له أجر السابقين من صحابة سيد المرسلين، ليخفف ذلك على الداعية هذا الحمل، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، فتن يرقق بعضها بعضاً، ليلٌ مظلمٌ، ظلمات بعضها فوق بعض، تدع الحليم حيران، فكان من أعظم المحفزات على الصبر على تلك الفتن والقيام بحمل الدعوة إلى الله ما رواه عبد الرحمن الحضرمي عن رجل من الصحابة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أَجْرِ أَوْلِيهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ» (١).

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «(يعطون مثل أجور أولهم): أي يشبههم الله مع تأخر زمنهم مثل إثابة الأولين من الصدر الأول؛ الذين نصرُوا الإسلام وأسسوا قواعد الدين» (٢).

وعن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ

(١) رواه الإمام أحمد (٢٣١٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢٤).

(٢) فيض القدير، المناوي (٢ / ٦٨٠).

أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا
يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَجْرُ
خَمْسِينَ مِنْكُمْ»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ،
لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِمَّنْ أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ:
«مِنْكُمْ»^(٢).

أي فوز كهذا الفوز، أنت العبد الضعيف الفقير المقصّر تفوز بأجر خير
القرون، مَنْ رضي الله عنهم واختارهم لصحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء الثناء عليهم في
التوراة والإنجيل والقرآن، فيا أيها الداعية المبارك فارق الفراش الوثير وقم داعيًا
مذكرًا بشيرًا ونذيرًا لا تأسرتك الحياة وزخرفها عن هذه الثمرة العظيمة.

كن مشعلًا في جنح ليل حالك لتدل حيران الفؤاد سبيلا
وانشط لدينك لا تكن متكاسلاً كن للهداة السالكين دليلا
واسلك سبل محمد ورفاقه لتحوز أجر السبقين جزيلا



(١) رواه أبو داود (٤٣٤١)، وحسنه الأرئوط والحاكم (٧٩١٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٠ / ١٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣٤).

الثمرة الثالثة عشرة:

الفوز بالأجر العظيم

فضل الله واسع يهبه من يشاء من عباده، وهبته جل وعلا خير الهبات وعطيته أفضل العطايا، وقد وعد الأمرين بالمعروف والساعين في الأرض بالإصلاح أن يهبهم أجراً عظيماً فقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

قال العلامة الخازن رَحِمَهُ اللهُ: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: أي لا حد له؛ لأن الله سماه عظيمًا وإذا كان كذلك فلا يعلم قدره إلا الله^(١). «ولا حدَّ لمبلغ ما سمي الله (عظيمًا) يعلمه سواه»^(٢).

ولذا قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وإذا قال الله (أَجْرًا عَظِيمًا) فمن الذي يقدر قدره»^(٣).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (١ / ٤٢٧).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٩ / ١٤٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥ / ١٩٧).

آخر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير^(١)... في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر^(٢).

بل إن النبي ﷺ بين أن ما يظفر به الداعية من الأجور والمنزلة عند الله خير من حُمْرِ النَّعْمِ، بل الدنيا بأسرها، فقال في وصيته لعلي بن أبي طالب ولكل الدعاة إلى الله من بعده: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعْمِ»^(٣).
«يعني به - والله أعلم - أن ثواب تعليم رجل واحد، وإرشاده للخير أعظم من ثواب هذه الإبل النفيسة لو كانت لك فتصدقت بها؛ لأنَّ ثواب تلك الصدقة ينقطع بموتها، وثواب العلم والهدى لا ينقطع إلى يوم القيامة»^(٤).

قال المبار كفوري رَحِمَهُ اللهُ: «لأن حمر النعم أعز الأموال عندهم فكانت كناية عن أنها خير من الدنيا كلها»^(٥).

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «أقسم عليه الصلاة والسلام وهو الصادق وإن لم يقسم، أن هداية رجل واحد على يد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خير له من حمر النعم، فدل ذلك

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (١٧٩).

(٢) المرجع السابق (١٨٥).

(٣) رواه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي (٦/ ٢٧٦).

(٥) تحفة الأحوذى، المبار كفوري (٢/ ٤٣٩).

على أن الدعوة إلى الله شأنها عظيم، وأنها منزلة عظمى... وإنما ذكر صلى الله عليه وسلم حمر النعم لأن حمر النعم أنفس أموال العرب وأرفعها عندهم فمثل بها، وإلا فالمقصود أن هداية رجل واحد أو أكثر من ذلك خير من الدنيا وحطامها الزائل الفاني»^(١).

وما أجمل تعلق الإمام السعدي رحمته الله على قوله تعالى ﴿وَمَا نَقَمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ مِّجْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]؛ «وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه، فوا أسفاه على أوقات مضت في الغفلات، ووا حسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، ووا غوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها، فلك اللهم الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(٢).

رسالة لكل داعية ومعلم للخير: انفذ على رسلك تنشر المعروف وتدعو إلى

الخير وتبث الإصلاح لتفوز بالأجر العظيم.



(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز، إشراف محمد الشويعر (٣ / ١١٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٨٩٥).

الثمرة الرابعة عشرة:

القبول في الأرض

الدعوة إلى الله أشرف وظيفة على وجه الأرض، حاز بها الداعية محبة الله ﷻ، فأثمرت تلك المحبة محبة أهل السماء وقبول أهل الأرض ومحبتهم؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(١). «أي الحب في قلوب الناس، ورضاهم عنه، فتميل إليه القلوب وترضى عنه»^(٢)، «فيُحدث له في القلوب مودة ويزرع له فيها مهابة فتحبه القلوب وترضى عنه النفوس من غير تودد منه، ولا تعرض للأسباب التي تكتسب لها مودات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف، وإنما هو اختراع منه ابتداءً واختصاصًا منه لأوليائه بكرامة خاصة، كما يقذف في قلوب أعدائه الرعب والهيبة إعظامًا لهم وإجلالًا لمكانهم»^(٣).

أخي المبارك، إن القبول في الأرض ثمرة عاجلة لخدمة دين الله ﷻ يلحظها كل متأمل لحياة الدعاة، فأهل العلم والدعوة لهم الحب والتقدير من عامة الناس

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (١٦ / ١٨٤).

(٣) فيض التقدير، المناوي (٢ / ٢٥٨).

وخاصتهم، صغارًا وكبارًا ذكورًا وإناثًا، تزداد هذه المحبة وتعظم على قدر الجهد الذي يبذلونه والإخلاص الذي يسكن قلوبهم، تلك هبة الله وذلك فضله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

يستثنى من ذلك أعداء الدعوات على مر الزمان ممن يصد عن سبيل الله فهؤلاء هم أعداء الرسل والأنبياء وورثتهم ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١١].

والدعاة إلى الله جل وعلا لا يبحثون عن مدح الناس وثنائهم ولا ينشدونه، إنما يرجون ما عند الله من الأجر والثواب، فهم يدعون إلى الله لا إلى أنفسهم، ولكن ذلك عاجل بشرى للدعاة إلى الله، فالناس شهداء الله في أرضه، ومصداق حديث رسول الله ﷺ حيث سُئِلَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (١).

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

الثمرة الخامسة عشرة: معية الله للداعية وذكره في الملأ الأعلى

ذكرُ الله للعبد ومعيته له، منحة ربانية مَنْ حَصَّلَهَا كان في كنف الله يكلؤه ويرعاه، فمن كان الله معه كان الكون كله معه، ومن كان الله معه فمم يخاف؟ وعلى أي شيء يحزن؟ وأولى الناس بهذه الهبة رسله وأنبياءه الذين عمروا حياتهم بتبليغ دين الله ودلالة الناس عليه، ويلهم في نيل تلك الهبة ورثة الأنبياء من العلماء والدعاة الذين خلفوا الأنبياء في أقوامهم وقاموا بما قاموا به، وتأمل قول الله تعالى في من اشتغل بذكره والتذكير به: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، «وكل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تَعَلُّمٍ عِلْمٍ وتعليمه وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله»^(١).

يا للفضل ويا للتكريم ويا للتشريف ويا للفوز، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ الله الملك الكبير الجليل المتعال يذكر عبده الصغير الفقير المسكين الضعيف مكافأة له على ذكره له، أي تفضل! وأي كرم! وأي فيض في السماحة والجود! إنه العطاء الذي لا وجود به ولا يفيضه إلا الله، الذي إذا أعطى أدهش، عطاء ليس له حد، وفضل

(١) الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٦٦١).

ليس له وصف، تذكروا الله وتدعو إليه وتدلو عليه فيذكر في الملاء الأعلى ثناءً وحباً وتكريماً ورعاية، فما أعظم الفوز وما أجزل الهبات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إن ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه..»^(١)، قال المباركفوري رحمته الله: «وأنا معه) أي بالرحمة والتوفيق والرعاية والهداية والإعانة»^(٢).

إن المتأمل للآية والحديث يجد أن الداعية يجني ثمرتين عظيمتين: الأولى ذكر الله له في الملاء الأعلى، والثانية معية الله له وهذه المعية التي يظفر بها الدعاة إلى الله هي معية خاصة وهي معية التوفيق والنصر والتأييد والحفظ والرعاية، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه ويقصر تعريفه عنه»^(٣).

أي ثمرة أعظم وأي مزية أعلى وأرفع من معية الله للداعية وذكره وثنائه عليه عند ملائكته الكرام. هذا يحيى بن معاذ رحمته الله تدهشه هذه الثمرة فيقول: «يا غفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) تحفة الأحوذى، المباركفوري (٢ / ٢٥٣٠).

(٣) معارج القبول، حافظ حكيمي (١ / ٢٠٦).

لمولاك لمتّ شوقاً إلى مولاك»^(١).

يكفي حافظاً ودافعاً للعبد على السعي في نشر الخير والدعوة إلى الله والدلالة عليه أن الله معه يؤيده وينصره ويؤازره ويحميه ويكلّؤه ويفيض عليه من بره وإحسانه.



(١) ذكر الله تعالى، أزهرى أحمد (٦).

الثمرة السادسة عشرة:

إيواء الله للداعية

أن تأوي إلى كنف الله فتلك المنعة والنصرة، فمن آواه الله كفاه، وصرف عنه الشرور، وبسط عليه رحمته، وأسبغ عليه عافيته، وأفاض عليه من سحائب جوده وعظيم هباته، وهذه الثمرة ينالها من آوى إلى مجالس الذكر وحلق العلم فعن أبي واقد الليثي؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةَ فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ: فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» (١).

قال ابن حجر رحمه الله: «ومعنى فأواه الله أي جازاه بنظير فعله بأن ضمه إلى

رحمته ورضوانه» (٢)، «أو يؤويه يوم القيامة إلى ظل عرشه» (٣).

(١) رواه البخاري (٦٦، ٤٧٤)، ومسلم (٢١٧٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (١/ ١٥٧).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (١/ ١٦٥).

وقال المهلب: «فيه من الفقه أن من جلس إلى حلقة فيها علم أو ذكر أنه في كنف الله وفي إيوائه» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فلو لم يكن لطالب العلم إلا أن الله يؤويه إليه ولا يعرض عنه لكفى به فضلاً» (٢).

تأمل قول النبي ﷺ: «أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله» هذا فيمن أوى لطلب العلم فكيف بمعلم العلم وناشر الخير لا شك أنه أوى الناس بهذه الثمرة العظيمة. من آواه الله ﷻ أحاطت به الخيرات والمسرات والبركات، من آواه الله ﷻ عصمه من الزلل وثبته على الحق حتى يلقاه، من آواه الله كفاه ما أهمه من أمر دينه وديناه، من آواه الله ﷻ حرسه من كل سوء وكفاه من كل شر وصرف عنه كيد الفجار وشر الأشرار، كيف لا وهو يأوي إلى ركن شديد.

ومن ذا الذي لا يطمع أن يحوز هذا الفضل وينال هذه الهبة؟! فلنبادر إلى ميدان الدعوة والتعليم ونشر الخير.



(١) شرح البخاري، ابن بطال (١/ ١٤٨).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١٢٣).

الثمرّة السابعة عشرة: تنزل السكينة

السكينة هبة الله ﷻ، إذا نزلت قلب عبد من عباده زاد إيمانه وثبت جنانه وانشرح صدره واطمأنت نفسه وسكنت جوارحه، السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب... «والسكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها وسكنت إليها الجوارح وخشعت واكتسبت الوقار وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل باطل»^(١).

«والسكينة من السكون وهو طمأنينة القلب واستقراره وأصلها في القلب ويظهر أثرها على الجوارح... وثمرّة هذه السكينة الطمأنينة للخير تصديقاً وإيقاناً، وللأمر تسليمًا وإذعاناً، فلا تدع شبهة تعارض الخير ولا إرادة تعارض الأمر، فلا تمر

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (٢ / ٥٠٢).

معارضات السوء بالقلب إلا وهي مجتازة من مرور الوسواس الشيطانية التي يبتلى بها العبد ليقوى إيمانه ويعلو عند الله ميزانه بمدافعتها وردها وعدم السكون إليها» (١).

وأعظم طريق لنيل هذه الثمرة العزيزة الاجتماع على ذكر الله وتعلم الوحي وتعليمه؛ فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وعشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» (٢).

السكينة عطاء رباني ينزلها على من أختص من عباده فيصلح حاله، وينعم بالسرور وطيب العيش، يصف ذلك الإمام ابن القيم رحمته الله فيقول: «ومتى نزلت عليه السكينة استقام وصلحت أحواله وصلح باله،... وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة وطيب العيش، فمن أعظم نعم الله على عبده تنزل السكينة عليه» (٣).

إننا في زمن يعج بالفتن فما أحوجنا إلى أن يمدنا الله عز وجل بسكينة يقوى بها إيماننا ونثبت بها على ديننا حتى نلقى ربنا ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاجتماع على ذكره و السعي في نشر دينه، تأمل يا رعاك الله في الثمرات العظيمة التي ذكرها الإمام السعدي رحمته الله حين قال عن السكينة: «وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم (٤ / ٢٠٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم (٢ / ٢٠٧).

المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبتته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه»^(١).

إننا في أمس الحاجة إلى هذه الثمرات، كيف لا نكون في حاجتها وهذا حبيبنا ﷺ يستجلب السكينة من ربه عند حفر الخندق فعن البراء رضي الله عنه، قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابَ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَهُوَ يَرْتَجِرُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا
إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةَ أَيْبِنَا
يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ»^(٢).

هذا هو حبيبنا يستجلب سكينته ربه فيعلمنا أننا في أمس الحاجة إلى هذه السكينة فها بنا نتأسى به في تبليغ دين الله سائلين الله أن ينزل علينا سكينته.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٧٩١).

(٢) رواه البخاري (٤١٠٦).

الثمرة الثامنة عشرة:

صلاح القلب

«أشرف ما في الإنسان قلبه، فهو العالم بالله، الساعي إليه، المحب له، وهو محل الإيمان والعرفان، وهو المخاطب المبعوث إليه الرسل، المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل، وإنما الجوارح أتباع للقلب يستخدمها استخدام الملوكة للعبيد والراعي للرعية، والذي يسري إلى الجوارح من الطاعات والمعاصي إنما هي آثاره، فإن أظلم أظلمت الجوارح وإن استنار استنارت»^(١).

وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢)، والقلب محل نظر الرب جل وعلا فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(٣).

من هنا كان من أعظم المطالب وأشرف الغايات العناية بسلامة القلب وصلاحه فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (ص: ٤١٣).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَعَزِيمَةَ الرَّشْدِ، وَشُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ،
وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ
لِمَا تَعْلَمُ»^(١).

فالعقل اللبيب يلهج إلى ربه بالدعاء أن يرزقه قلبًا صالحًا سليمًا، ويجهد في العمل على تحصيل أسباب صلاح قلبه وسلامته ورقته وخشوعه، والتي من أعظمها ذكر الله جل وعلا فإنه حياة القلوب وجلاؤها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال الإمام ابن رجب رحمته الله: «فأما رقة القلوب فتنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب بالغفلة عنه»^(٢).

والدعوة إلى الله جل وعلا ودلال القلوب على الله من أعظم الذكر ولذا فإن الاشتغال بالدعوة إلى الله يثمر صلاح القلب وسلامته؛ لأنها من أعظم الذكر ولأن الجزاء من جنس العمل فمن سعى لإصلاح قلوب العباد وسلامتها ودلالاتها على الله أصلح الله قلبه وسلمه من الآفات والأدواء جزاء وفاقاً فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

شكا رجل إلى الحسن قساوة قلبه فقال: «اذنُّه من الذكر وقال: مجلس الذكر

(١) رواه ابن حبان (١٩٧٤)، وقال الألباني في التعليقات الحسان (١٩٧١): «صحيح لغيره».

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب (ص: ١٦).

محيية العلم ويحدث في القلب الخشوع، القلوب الميئة تحيا بالذكر كما تحيا الأرض الميئة بالقطر»^(١).

وقال ميمون بن مهران: «العلماء هم ضالتي في كل بلدة وهم بغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء»^(٢).

وما أجمل قول أبي القاسم أحمد بن عصفور **رحمته الله:**

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم

وعنه فكاشف كل من عنده فهم

ففيه جلاء للقلوب من العمى

وعون على الدين الذي أمره حتم

فخالط رواة العلم واصحب خيارهم

فصحبتهم زين وخلطتهم غنم

ولا تعدونَ عيناك عنهم فإنهم

نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم

فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى

ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم^(٣).

(١) المصدر السابق (ص: ١٦).

(٢) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر ابن عبد البر (١ / ٢٢١).

(٣) المرجع السابق (١ / ٢١٩).

فيا من يرغب في صلاح قلبه وسلامته أقبل بقلبك على الله وكن ممن يجهد
ويجاهد في صلاح قلوب عباده وهدايتها ودلالاتها عليه لتظفر بعونه وتوفيقه
وإفاضته على قلبك موارد الصلاح وفيوض الهداية؛ تأمل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ أحسنوا إلى عباده
وجاهدوا في صلاح قلوبهم وسلامتها ففازوا بمعيته وهدايته.



الثمرة التاسعة عشرة:

السعادة

الدعوة إلى الله ﷻ من أعظم أسباب السعادة في الحياة، وكيف لا يكون الداعية سعيداً وهو يقود القلوب إلى سعادة الدارين فهو هادي الحائرين ودليل التائهين، يصل القلوب بالله لتطمئن بعد الضيق والظنك والشقاء، يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والصبر على أعداء الله سبحانه فاللذة بذلك أمر آخر لا يناله الوصف ولا يدركه مَنْ ليس له نصيب منه، وكل من كان به أقوم كان نصيبه من الالتذاذ به أعظم،... بل ما قام بقلوبهم من اللذة والسرور والنعيم أعظم مما يقوم بقلب العاشق الذي يتحمل ما يتحمله في موافقة رضى معشوقه، فهو يتلذذ به ويتنعم به لما يعلم من سرور معشوقه به.

فيا منكرًا هذا تأخر فإنه حرام على الخفافش أن يبصر الشمساً^(١).

«السعادة الحقيقية وهي سعادة نفسانية روحية قلبية وهي سعادة العلم النافع

(١) طريق الهجرتين، ابن القيم (١/١٠١).

ثمرته، فإنها هي الباقية على' تقلب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة، أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، وبها يترقى معارج الفضل ودرجات الكمال... وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها... وهذه السعادة وإن كانت في ابتدائها لا تنفك عن ضرب من المشقة والكره والتأذي، فإنها متى أكرهت النفس عليها وسيقت طائعة وكارهة إليها وصبرت على لأوائها وشدتها أفضت منها إلى رياض موقنة، ومقاعد صدق، ومقام كريم، تجد كل لذة دونها... ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف، ولكن حفت بحجاب من المكاره، وحجبوا عنها بحجاب من الجهل، ليختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم»^(١).

هذا أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ اللهُ يوصي ولديه فيقول: «والعلم لا يفضي بصاحبه إلا إلى السعادة، ولا يقصر عن درجة الرفعة والكرامة، قليله ينفع، وكثيره يعلي ويرفع، كنز يزكو على كل حال»^(٢).

وهذا الشيخ عبد القادر الجيلاني يتحدث عن لذته برؤية مهتدٍ على يديه فيقول: «سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي... إذا رأيت وجهه مرير صادق قد أفلح على يدي شبعت وارتويت واكتسيت وفرحت كيف خرج مثله

(١) طريق الهجرتين، ابن القيم، (١٠٨).

(٢) النصيحة الولدية، نصيحة أبي الوليد الباجي لولديه، (١٦).

من تحت يدي؟!»^(١).

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**^(٢) فهذا يدل على فضل العلم وأنه من علامات الخير والسعادة، ومن علامات التوفيق، وأن الله أراد بالعبد خيرًا؛ أن يفقهه في دينه، وأن يتبصر في ذلك... والعلماء الذين أظهروا العلم هم خيرة الناس، وأفضلهم على وجه الأرض، وعلى رأسهم أئمتهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، والأنبياء، فهم القدوة والأساس في الدعوة والعلم والفضل، يليهم أهل العلم، فأهل العلم هم أئمة هذه الأرض ونورها وسرجها، وهم أولى بها من غيرهم، يرشدون الناس إلى طريق السعادة، ويهدونهم إلى أسباب النجاة، ويقودونهم إلى ما فيه رضا الله جل وعلا، والوصول إلى كرامته والبعد عن أسباب غضبه وعذابه»^(٣).

والعلم إنما يكون نافعًا لصاحبه، وسرًّا من أسرار سعادته إذا بلغه ونشره وسعى به إلى هداية القلوب إلى الله ﷻ، فهذا العلم الذي أراد الله بصاحبه خيرًا، وهو روح الدنيا وسعادة الحياة بل هو الحياة الحقيقية، ولئن رأيت من يفتش عن السعادة لأجبهته:

(١) الفتح الرباني والفيض الرحمانى، الجيلاني، (٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣١١٦، ٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، إشراف محمد الشويعر (٢ / ٣٠٩).

قلت السعادة أن تُبلِّغ
إن السعادة أن تعيش
فتشيع في النفس اليقين
وتعلم الفكر السوي
تعطي حياتك قيمة
من عاش يحملها ويهتف

دين ذي العرش المجيد
لفكرة الحق التليد
وتطرد الشك العنيد
وتصنع الخلق الحميد
رب الحياة بها يشيد
باسمها فهو السعيد



الثمرة العشرون:

حفظ الله ورعايته

الداعية إلى الله مُبلغ عن الله قائم بوظيفة الأنبياء فهو ولي الله وحيبيه يسعى في نشر دينه بين الناس والله جل وعلا يرفع حبيبه ويحفظه ويكلؤه، يدافع عنه ويحارب من يعاديه فقد قال سبحانه في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، وقد أمر الله رسوله بالدعوة والبلاغ وتكفل الله بحفظ نبيه ﷺ فقال له: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه وضمن له حفظه وعصمته من الناس وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له» (١).

يؤكد هذا المعنى الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «وهكذا من سبقت له العناية من علماء هذه الأمة يعصمه الله من الناس إن قام ببيان حجج الله وإيضاح براهينه، وصرخ بين ظهрани من ضاد الله وعانده ولم يمثل لشرعه كطوائف المبتدعة. وقد

(١) جلاء الأفهام، ابن القيم (٤١٥).

رأينا من هذا في أنفسنا وسمعناه في غيرنا ما يزيد المؤمن إيماناً وصلابةً في دين الله وشدة شكيمته في القيام بحجة الله، وكل ما يظنه متزلزلو الأقدام ومضطربو القلوب من نزول الضرر بهم وحصول المحن عليهم فهو خيالات مختلة وتوهمات باطلة، فإن كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى»^(١).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوءِ...»^(٢)، وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ تَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ الشُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ»^(٣).

وأي معروف أعظم من الدعوة إلى الله صلى الله عليه وسلم وإنقاذ عباده من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى، فمن صنع هذا المعروف لعباد الله حفظه ووقاه، ومن كل شر وبلاء أنجاه.

اثبت بصبرك تحت ألوية الهدى
واجعل كتاب الله والسنن التي
فإذا أصبت ففي رضا الرحمن
ثبتت سلاحك ثم صح بجنان

(١) فتح القدير، الشوكاني (٢ / ٧٦).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٠٨٦)، والكبير (٨٠١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٣) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٥).

من ذا يبارز فليقدم نفسه
أو من يسابق يئد في الميدان
واصدع بما قال الرسول ولا تخف
من قلة الأنصار والأعوان
فالله ناصر دينه وكتابه
والله كاف عبده بأمان
لا تخش من كيد العدو ومكرهم
فقتالهم بالكذب والبهتان
فجنود أتباع الرسول ملائك
وجنودهم فعساكر الشيطان^(١).

تأمل هذه القصة العجيبة عن حميد بن هلال قال: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الطُّفَاوَةِ طَرِيقُهُ عَلَيْنَا، فَأَتَى عَلَيَّ الْحَيَّ، فَحَدَّثَهُمْ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي عِيرٍ لَنَا، فَبِعْنَا بِيَاعَتَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: لَا نَطْلِقَنَّ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَلَاتَيْنَ مَنْ بَعْدِي بِخَبْرِهِ، قَالَ: فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يُرِينِي بَيْتًا، قَالَ: «إِنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِيهِ فَخَرَجَتْ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكَتْ ثِنْتِي عَنزًا لَهَا، وَصِيصِيَّتَهَا^(٢) كَانَتْ تَنْسُجُ بِهَا»، قَالَ: «فَقَدَدْتُ عَنزًا مِنْ غَنَمِهَا، وَصِيصِيَّتَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ إِنَّكَ قَدْ ضَمَنْتَ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِكَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيْهِ، وَإِنِّي قَدْ قَدَدْتُ عَنزًا مِنْ غَنَمِي، وَصِيصِيَّتِي، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عَنزِي، وَصِيصِيَّتِي»، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شِدَّةَ مُنَاشَدَتِهَا لِرَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَصْبَحَتْ عَنزُهَا وَمِثْلُهَا، وَصِيصِيَّتُهَا وَمِثْلُهَا، وَهَاتِيكَ فَأْتِيهَا فَاسْأَلِهَا إِنْ شِئْتَ»^(٣).

(١) الكافية الشافية، ابن القيم (ص: ٩٧).

(٢) صيصيتها: هي الصنارة التي يغزل بها النية جامع العلوم والحكم، لابن رجب ص ٤٦٧.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٠٦٦٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢٩٣٥).

هذا حفظ الله لمن خرج في سبيله وفي نصره دينه، فاجتهد أيها المربي في تبليغ دين الله والدعوة إليه ونشر الخير؛ لتنال رعايته وحفظه وحمايته، ومن كان الله حاميه وناصره ومؤيده فماذا يضره؟

وإذا العناية لاحظتك عيونها
لا تخش من بأس فأنت تصان
وبكل أرض قد نزلت قفارها
نم فالمخاوف كلهن أمان.



الثمرة الحادية والعشرون:

الفوز بنور الله

الدعاة إلى الله هم حُمَالُ الوحي يسعون لنشره بين الناس، وقد سمى الله وحيه نورًا فقال: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «العلماء سراج الأزمنة؛ كل عالم مصباح زمانه يستضيء أهل زمانه»^(١).

وقال مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في وصف العلم: «نور يضعه الله في القلب»^(٢).

والدعاة إلى الله ﷺ يحملون سراج الوحيين، يجهدون في إنارة الطريق للسالكين، يقتفون في ذلك آثار السراج المنير عليه الصلاة والسلام. ولا شك أن الدعاة إلى الله ﷺ هم أول المستضيئين بهذا النور، يضعه الله في قلوبهم فيمشون به في الناس كما أخبر الله ﷺ عن حال من كان في التيه والضلال ثم من الله عليه بالهداية

(١) سنن الصالحين و سنن العابدين، الباجي (١ / ٢٤٩).

(٢) المصدر السابق (١ / ٢٦٥).

وصيره داعية يهدي بإذن الله إلى صراط مستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، «وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل ثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم، وسائر الخلق له منكر فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا» (١).

وهذا النور هبة الله يهبه من يشاء من عباده يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

فما أعظم فوز من هُدي لهذا النور. أيها المرابي هل تطمح أن تحفك الأنوار ويملاً الله قلبك نوراً، ويسعى نورك على الصراط بين يديك وييمينك؟ كن مشعلاً تنير الطريق للحائرين وتدل التائهين وتداوي جراح المكلمين وتبدد أحزان المصابين. يا حامل مشعل الهداية:

(١) ابن القيم، الوابل الصيب، ابن القيم (٧٢).

قم ناشراً للنور في الأرجاء قم فالظلام يطل كل مساء
كن كالصباح أتى فأشرقت الدنيا والليل أدبر جاهشاً ببكاء
والطير غرد والبابل أنشدت والورد بثَّ شذاه في الأرجاء
النور نورك لا تحد عن نشره الشمس أنت توسطت بسماء

أيها الداعية المبارك يا معلم الخير، تذكر أنك سراج يزهر والعالم اليوم يعيش في ظلام دامس، فقم بدد بالنور الذي تحمله ديجور الظلام، والله جل وعلا هو الذي يمدك بالنور: ﴿نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾.



الثمرة الثانية والعشرون:

صلاح الأهل والذرية

من سنن الله ﷺ أن الجزء من جنس العمل، فمن عمر أوقاته بخدمة دين الله والدعوة إليه جازاه سبحانه بصلاح أهله وذريته في الغالب، قال تعالى: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللهُ: «وفي الآية إرشاد الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم، حتى تحفظ أبنائهم، وتغاث بالعناية منه تعالى، ويكون في إشعارها تهديد بضياح أولادهم إن فقدوا تقوى الله تعالى، وإشارة إلى أن تقوى الله أصل، والأصول تحفظ الفروع وأن الرجال الصالحين يُحفظون في ذريتهم الضعاف (١)».

والدعوة إلى الله من تقوى الله، والدعوة إلى الله من القول السديد، فمن ترك الدعوة إلى الله ففي تقواه لله نقص، كيف وقد قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «ف عند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم تكون الدعوة فرض

(١) محاسن التأويل، القاسمي (٢/ ٢٣٥).

عين على كل واحد بحسب طاقته» (١).

فإذا علمنا أن الدعوة في هذا الزمان واجبة؛ خاصة على من تفضل الله عليه بالهداية والعلم، فإن تركها إثمٌ يجرح تقوى العبد، فينبغي للمتقي أن يبادر بالتوبة من ذلك وينضم إلى ركب الداعين إلى الله ﷻ، ليحفظ الله له أهله وذريته ويخلفه فيهم بخير.

تأمل قصة هاجر رضي الله عنه مع نبي الله إبراهيم عندما تركها وولدها عند بيت الله المحرم وعاد إلى الشام ليشغل بدعوة قومه إلى الله، يقول رضي الله عنه: «ثُمَّ قَفَىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعْتُهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟» فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مَرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذْنٌ لَا يُضِيعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهِؤْلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢).

تأمل قول هاجر رحمها الله: (الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة (ص: ٢٤).

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٤).

يضيعنا) ما دام أن الله أمرك بذلك وأنت مشغول بدعوة قومك إلى التوحيد فإن الله سيحفظنا، ومن حفظه الله كان في حرز وأمان.

أيها الداعية ربّ أسرتك على الخير، والزم الدعاء لهم بالصلاح، وانطلق في ميادين الدعوة والإصلاح ناشراً للخير باذلاً للمعروف، وتذكر دائماً وأنت تقوم بالدعوة إلى الله قول هاجر رحمها الله (آله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا) وتذكر قول المولى **عَلَيْكَ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [يوسف: ٦٤].

وما أجمل قول ابن المُنْكَدِر: «إِنَّ اللَّهَ لِيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر»^(١)، ولقد قال سعيد بن المسيب لابنه: «لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظَ فيكَ»^(٢)، فقل أنت لأهلك وذريتك: لأزيدنَّ في دعوتي رجاء أن أحفظ فيكم.

تأمل دعوة أولي الألباب لربهم: **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا**

وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ففيها إشارة لطيفة إلى العلاقة الوثيقة بين صلاح الزوجة والذرية والإمامة في الدين، فإن اشتغال العبد بتبليغ الدين يجعل أقرب الناس إليه بعد توفيق الله أول

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١ / ٤٦٧).

(٢) المصدر السابق (١ / ٤٦٧).

المقتدين به، والداعية لديه شعور فطري عميق بالرغبة في مضاعفة السائرين إلى الله، وخاصة الأهل والذرية، فهم أقرب الناس تبعة وهم أمانة عظيمة يُسأل عنها العبد، والداعية قدوة للخير، يأتهم به الراغبون في السير إلى الله فكم يُسعده أن يأتهم به أقرب الناس إليه.



الثمرة الثالثة والعشرون:

نضارة الوجه في الدنيا والآخرة

الدعاة إلى الله ﷺ الذين حملوا هم تبليغ الدين ونقل السنن، لهم جمال خاص يميزهم عن غيرهم، إذ تعلق وجوههم النضرة، فقد ظفروا بدعوة النبي ﷺ حين قال: «نَضَرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَي فَوَعَاها، ثُمَّ بَلَغَهَا عَنِّي، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ غَيْرِ فِقْيِهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» (١).

وقال ﷺ: «نَضَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبْلِغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» (٢).

قال الإمام الخطابي: «معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعيم والبهجة... وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جابر: أي ألبسه الله نضرةً وحسنًا وخلوص لون و زينة وجمالاً أوصله لنضرة الجنة نعيمًا ونضارة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] وقال سبحانه: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]» (٣).

دعوة نبوية لمن سمع من النبي ﷺ شيئاً ثم انطلق ينشر هديه ويذيع سنته

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٦٧٦٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٧)، وصححه الألباني.

(٣) عون المعبود، أبو الطيب آبادي (١٠ / ٩٤).

ويدعو إلى الله وكأنما تطرق أذنه تلکم الدعوة العظيمة (نضر الله امرأً) «ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفاً؛ فإن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه،... فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاج الباطن به، وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه، ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة»^(١).

فالدعاة إلى الله جل وعلا المبلغون لسنة رسوله ﷺ يكسوهم الجمال في الدنيا والآخرة، وتمام ذلك أن يفوزوا بالنظر إلى وجه الله ﷻ، فينالون من النضارة والنعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فطوبى لك أيها الداعية يوم حُزت هذه المنزلة العلية فكنت ممن قال الله عنهم: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]؛ «أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظر كل يوم بكرة وعشيًا، ومنهم من ينظر كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجه الله الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثل شيء، فإذا رأوه نسوا

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٧١).

ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت
وجوههم فازدادوا جمالاً إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم» (١).
يا من تحلم أن تفوز بهذه الدعوة النبوية التي تثمر نعيم الدنيا والآخرة؟ شمّر
عن ساعد الجرد وكن ضمن قافلة الدعوة إلى الله.



(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٨٩٩، ٩٠٠).

الثمرة الرابعة والعشرون:

زيادة في العلم

الزيادة والنماء في العلم منحة ربانية، يتفضل بها على من شاء من عباده، ولشرف هذه المنحة وعلو منزلتها أمر الله نبيه ﷺ أن يطلبه الزيادة منها، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فإذا كان النبي ﷺ يطلب الزيادة من العلم وهو الذي تكفل الله بتعليمه: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]؛ قال السعدي: «ثم لم يزل يوحى الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقامًا من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين»^(١).

فحري بأتباع سنته وهديه أن يسعوا جاهدين لتحقيق أعظم قدر من العلم ويطلبوا الزيادة منه ويتلمسوا أسبابها ويسلكوا سبلها.

قال ابن القيم: «كفى بهذا شرفًا للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه»^(٢).

فمن رام أن يهبه الله زيادة العلم ويبارك له في علمه وينميه له، فليبذله للناس وليجهد في الدعوة إلى الله ﷻ؛ فزكاة العلم الذي بها نماءه وزيادته بذله وإنفاقه في

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٩٦).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٥٠).

سبيل الله. «فالعالم كلما بذل علمه للناس وأنفق منه تفجرت ينابيعه فازداد كثرة وقوة وظهوراً، فيكتسب بتعليمه حفظ ما علمه ويحصل له به علم ما لم يكن عنده، وربما تكون المسألة في نفسه غير مكشوفة ولا خارجة من حيز الإشكال فإذا تكلم بها وعلمها اتضحت له وأضاءت وانفتح له منها علوم آخر، وأيضاً فإن الجزء من جنس العمل فكما علم الخلق من جهالتهم جزاه الله بأن كمله من جهالته، كما في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث طويل: «قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَكَ: أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ»^(١) وهذا يتناول نفقة العلم، إما بلفظه وإما بتبنيه وإشارته وفحواه، ولزكاء العلم ونحوه طريقان: أحدهما تعليمه، والثاني العمل به، فإن العمل به أيضاً ينميه ويكثره ويفتح لصاحبه أبوابه وخبائاه»^(٢).

وما أجمل وصية أبي إسحاق الألبيري لابنه حين قال في وصف العلم:

| | |
|---|--|
| يَبْقَى ذَخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَ | يُنَالِكُ نَفْعَهُ مَا دَمْتَ حَيًّا |
| تَصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مِنْ ضَرْبَتَا | هُوَ الْعَضْبُ الْمَهْنَدُ لَيْسَ يَنْبُو |
| خَفِيفُ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَ | وَكُنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لَصًّا |
| وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا | يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ |
| لَأَثَرِ التَّعَلُّمِ وَاجْتِهَدْتَا. | فَلَوْ قَدْ دُقَّتْ مِنْ حُلُوَاهُ طَعْمًا |

(١) رواه البخاري (٥٣٥٢)، ومسلم (٩٩٣).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١٢٨).

الثمرة الخامسة والعشرون:

طوبى

تكرر في نصوص السنة دعاء النبي ﷺ بطوبى للدعاة والمصلحين الذين نشروا الخير بين الناس وكانوا مفاتيحه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»^(١).

وعن عبد الرحمن بن سنّة رضي الله عنه؛ أنه قال: قال رضي الله عنه: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، ثُمَّ يُعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، فَقِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ

(١) رواه ابن ماجة (١ / ٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٢٢٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٧ / ٢٣٧)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣ / ٦٣٣)، وصححه

الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

صَالِحُونَ، فِي أَنَاسٍ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فهؤلاء الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس جدًّا سُمُّوا (غرباء) فإن أكثر الناس إلى غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فيهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، وهؤلاء هم أهل الله حقًّا، فلا غربة عليهم (٢).

طوبى دعوة نبوية فماذا تعني هذه الدعوة؟ قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «فرح وقرّة عين». وقال عكرمة: «نِعْمَ مَا لَهُمْ». وقال الضحّاك: «غبطة لهم». وقال قتادة: «حسنى لهم». وقال إبراهيم: «خير لهم وكرامة». وقال ابن عجلان: «دوام الخير» (٣).

أيها الداعية، يا مفتاح الخير، يا من تسعى في نشر العلم والإصلاح، مباركٌ عليك دعوة النبي ﷺ لك بالهناء، والسعادة، والفرحة، وقرّة العين، وتوافد الخيرات، وحضور المسرات، هل هو هذا فحسب؟ كلا بل يضاف إلى ذلك شجرة في الجنة أسوق لك وصفها على لسان خير البرية عليه الصلاة والسلام؛ فعن أبي

(١) رواه الإمام أحمد (١١ / ٢٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣٩٢١).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٣ / ١٩٥).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢ / ١٧٦).

سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل: يا رسول الله ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»^(٤).



(٤) رواه ابن حبان (٧٤١٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (١٩٨٥).

الثمرة السادسة والعشرون: الإعذار إلى الله

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله أمانة في عنق كل مسلم يحمل علمًا، أو يستطيع نشر الخير وإبلاغ الحق، فالأمر بالمعروف والنهي المنكر أمانة عظيمة يُسأل عنها العبد يوم القيامة بين يدي الله وهو معرّض لعقوبة الدنيا قبل عذاب الآخرة؛ فعن عبيد الله بن جرير عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرْهُ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ» (١).

ولذا كان من ثمرات الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإعذار إلى الله ﷻ والخروج من عهدة التكليف، فلما عوتب صالحو القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّمُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] كان جوابهم: ﴿قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ١٦٤] أي نقوم بالدعوة إعذارًا إلى الله حتى نعذر عند الله بأننا قمنا بأداء الأمانة، وطمعًا في السلامة من لعنة الله، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ

(١) رواه ابن ماجة (٤٠٠٩)، والإمام أحمد (١٩١٩٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٣٥٣).

عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿المائدة: ٧٨، ٧٩﴾.

هذا ابن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما يبكي فما الذي يبكيه؟ يكشف ذلك

عكرمة رضي الله عنه فيقول: «دخلت على ابن عباس رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف قبل

أن يذهب بصره، وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك جعلني الله فداك، قال: ويحك

هل تعرف أيلة؟ قلت: وما أيلة؟ قال: قرية كان بها ناس من اليهود حرم الله تعالى

عليهم حيتانهم يوم سبتهم، وكانت حيتانهم تأتيهم يوم السبت بيضاً سماناً كأمثال

المخاض، ينطح بأبنتيهم، فإذا كان غير يوم السبت ذهبت فلم يجدوها ولم يدركوها

إلا في كبد ومشقة ومؤنة شديدة، فقال بعضهم لبعض: لعلنا لو اصطدنا يوم السبت

لأكلناها في غير يوم السبت، فأخذها أهل بيت منهم فشوا فوجد جيرانهم ربح

الشواء فقالوا: والله ما نراه أصاب بني فلان شيء، فأخذها غيرهم حتى كثر ذلك

فيهم وفشا، فافترقوا ثلاث فرق: فرقة أكلت، وفرقة نهت، وفرقة قالوا: ﴿لِمَ تَعْطُونَ

قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاكَ رَبِّكَمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿الأعراف:

١٦٤﴾، فقالت الفرقة التي نهت: يا قوم إنا نحذركم أن يميتمكم الله بمسوخ أو خسف

أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب، والله لا نبايتكم مكاناً أنتم فيه، فخرجوا من

السور، فلما كان من الغد أتوا السور ثم رقي منهم راقٍ، فقال: يا عباد الله قردة والله

لها أذنان تعاوي، فنزل ففتح الباب فدخل عليهم الناس، فعرفت القردة أنسابها من

الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فيأتي القرد الإنسان فيقول له: أنت

فلان؟ فيشير برأسه نعم وبيكي، وتجيء القرودة إلى الإنسان فتقول: أنتِ فلانة؟ فتشير برأسها نعم وتبكي، فقالوا لهم: إنا قد حذرناكم عقاب الله ﷻ، قال ابن عباس: واسمع الله تعالى يقول: ﴿أَجْمِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، فما أدري ما فعلت الفرقة الثالثة، فكم من منكر قد رأينا فلم ننه عنه، فمن هذا بكى ابن عباس، قال عكرمة: فقلت له: ألا ترى جعلني الله فداك أنهم قد أنكروا وعرفوا حتى قالوا: ﴿لِمَ نَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكَمْ وَلَعَلَّهُم يَنْقُونَ﴾ (١).

إن أقل ما يجنيه الداعية إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون في مأمن من عقوبة الله في الدنيا ومعذور بين يدي ربه جل وعلا في عرصات القيامة ناهيك عن أن هدفه الأسمى هو صلاح العباد واستقامتهم وهدايتهم ﴿وَلَعَلَّهُم يَنْقُونَ﴾.

فعلى الداعية إلى الله ألا يُرخي أذنيه لحديث المخذلين، ولا يستمع إلى كلام المثبتين بل يُقبل على دعوة مخلصاً لله مقتنياً لآثار الرسل والأنبياء والسلف الصالح مستمداً العون من ربه جل وعلا؛ لسان حاله ومقاله:

عَجِبْتُ لَهُمْ قَالُوا: تَمَادَيْتَ فِي الْمَنَى

وَفِي الْمَثَلِ الْعُلْيَا، وَفِي الْمَرْتَقَى الصَّعْبِ

(١) العقوبات، ابن أبي الدنيا (ص: ١٥١).

فاقصر، ولا تُجْهِدْ يراعَكَ إنما

ستبذر حَبًّا في ثَرَى ليس بالخصبِ

فقلت لهم: مهلاً، فما اليأس شيمتي

سأبذر حَبِّي، والثمارُ من الربِّ

إذا أنا أبلغت الرسالة جاهداً

ولم أجد السمع المجيب فما ذنبي^(١).



(١) علو الهمة، المقدم (ص: ٣٣).

الثمرة السابعة والعشرون:

الإسهام في نصرته الإسلام

الداعية إلى الله ينشد نصر الإسلام، ويحدث نفسه بعزته ورفعته، فحب الإسلام يجري في عروقه مجرى الدم، ينبض به قلبه، وَيَسْبُحُ به فكره، يجهد لنصرته ويسعى لعزته، يصدق عليه قول القائل:

| | |
|------------------|--------------------|
| لتوحيد ذي ديني | لإسلامي أعيش أنا |
| على كل العناوين | نقشت حرفه تعلقو |
| على كل الميادين | بخط بارز يسمو |
| له نبضي وتكويني | وإسلامي له عرقي |
| تعاشني تغذيني | وأنفاسي لإسلامي |
| وتنبض في شرايبي | تبث النور في روحي |
| وتعرفني وتدعوني | أنا ما رملة إلا |
| بلا ربي بلا ديني | أنا ماذا أكون أنا؟ |
| أجيبوني أجيبوني | أنا ماذا أكون أنا؟ |

إن العبد وهو يسمع ويرى ما يحدث لأمة الإسلام من ظلم واعتداء وذلل

وهوان، ففي كل مكان للمسلمين جرح يثعب، حتى صدق علينا قول القائل:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوفاً جناحاه

ومع ذلك فبشائر الخير في كل مكان، والإسلام ينمو في كل سقع من الأرض، والنصر قادم لا محالة إذا قام به أهله، وصدق الله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوْي لِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا...» (١).

وقال رسول الله ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِيَدِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذَلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» (٢).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ، وَالدِّينِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا لِأَخْرَجَ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْأَخْرَةِ نَصِيبٌ» (٣).

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣).

(٣) رواه أحمد (٢١٢٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٢٥).

أيها الداعية المبارك، هيا شارك في نصرة دينك وإنقاذ أمتك، فهي في هذه الأيام بالذات في أمس الحاجة إلى كل جهد مخلص، فهل تستجيب لهذا النداء وتسهم في اقتطاف هذه الثمرة العزيزة؟

كن كما قال الشاعر:

أنا مسلمٌ أبغي الحياةَ وسيلةً للغاية العظمى وللميعادِ
لرضا الإله وأن نعيش أعزةً ونُعِدُّ للأخرى عظيم الزادِ
أنا مسلمٌ أسعى لإنقاذ الوريِّ للنور للإيمان للإسعادِ
ويروغني هذا البلاء بأمتي لما تحلَّت عن طريق الهادي



الثمرة الثامنة والعشرون:

دفع الشر وتقليله

من سنن الله ﷻ في الكون سنة التدافع بين الخير والشر والإصلاح والإفساد، فإذا قام الداعية بما أوجب الله عليه من الدعوة والإصلاح ونشر الخير وتعليم العلم، دفع الله به الشر عن الأمة وحجّم ذلك الشر، وكلما قوي الخير واتسعت رقعته أزهد الله البطل، وكان أشبه ما يكون بالزبد الذي يذهب جفاءً؛ قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَلَكْتُمْ سَوَاعِدٌ وَيَبِغٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ: «أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لولا دفعه بالمؤمنين في صدور الكفرة على مر الدهر ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾؛ لأن الكفر كان يُطبَّقها ويتمادى في جميع أقطارها، ولكنه تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق، وداعٍ إلى الله ومقاتل عليه، إلى أن جعل ذلك في أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة، له

الحمد كثيرًا» (١).

ها هو زبد الشهوات والشبهات يرفع عقيرته والأعداء بجميع فئاتهم يرمون الإسلام عن قوس واحدة وينوعون الأساليب والخطط لحرب الإسلام واجتثاثه من الأرض مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وهذا وعد الله الحق الذي لا يُكذب، فزبد الباطل سيذهب جفاء كما أخبر الله ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، فالحق قوته وجاذبيته في ذاته فتجليته للناس وبيانه على حقيقته يجعل النفوس تنجذب إليه فهو لا يحتاج إلى تزيين، والباطل ضعفه في ذاته فهو لا يروج على الناس إلا بالتليس والتزيين وتزييف المسميات فيخدع به الناس ولو ظهر للناس بصورته الحقيقية لانجفل عنه الناس وفروا منه فرارهم من المجذوم فمن يشتري الزبد أو يرغب في الأوساخ ومن هنا فالتبعة على دعاة الخير عظيمة جداً في تجلية الحق وبيانه للناس وتجليه الباطل وإظهاره للناس بقبحه الذاتي وعندها ستكون الدولة للحق؛ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ولكن العجب كل العجب هو جلد الفاجر وعجز التقي، وصدق أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما روي عنه أنه قال: «اللهم إني أشكو إليك جلد

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (١ / ٣٣٧، ٣٣٨).

الفاجر وعجز الثقة»^(١).

ينبغي أن يعلم الداعية إلى الله أن الحق محبوب تأنس به النفوس، وتميل إليه القلوب، وتنجذب نحوه الأفتدة، فهو أشبه ما يكون بالسيل الذي تفرح به كل المخلوقات والذهب الذي زين للناس حبه، أما الباطل فمبغوضٌ مكروهٌ تنفر منه النفوس أشبه ما يكون بالزبد وأوساخ الذهب فمن يفرح بها؟! وهذا رصيد قوي لدعاة الخير وأرباب الصلاح؛ فالنفوس قد فطرت على حب الخير وبغض الباطل فعليهم أن يجتهدوا في بيان الحق وتجلية الباطل.

أيها الداعية المبارك، أمتك ودينك في أمس الحاجة إلى جلدك وجهدك وكدحك، ليدحر الله بك الباطل، ويتم الله بك نور الهدى، فكن مشعلًا في غياهب الظلمات، يزهق الله به الباطل ويطمس بنوره الظلمات.



(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٦ / ٤٠١).

الثمرة التاسعة والعشرون: الخيرية

الخيرية تاج تتوج به النفوس التي تأبى أن تعيش لذاتها، تلك النفوس الكبيرة التي تعشق العطاء، وتجد أنسها وسرورها في بذل المعروف والأمر به، وتنقية الحياة من كدر المنكر الذي إذا فشى وانتشر كان أسرع الطرق إلى الهلاك، بمثل تلك النفوس نالت أمة الإسلام وسام الخيرية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله»^(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله، وجهادهم على ذلك، وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس»^(٢).

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (١/٤٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (١٤٣).

ينبغي أن تدرك الأمة المسلمة حقيقتها وقيمتها، وأنها أخرجت لتكون في الطليعة ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة، وهي تحمل الخير لأمم الأرض تبثه بينها، وتسعى لإسعاد الدنيا بأسرها، فهي تعطي الأمم الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح، هذا واجبها الذي أخرجها الله من أجله، واجبها أن تكون في الطليعة دائماً، وفي مركز القيادة دائماً، فواجبها كبير كبير، وتبعاته عظيمة وتكاليفه مضمّنة.

إنها أمة تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد، تفعل المعروف وتنشره وتأمر به، وتنتهي عن المنكر وتزجره وتنهى عنه، فهي خير أمة أخرجت للناس.

دعونا نتأمل بعض نصوص الخيرية في سنة خير البرية؛ عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (١).

يقول ابن كثير رحمته الله: «وهذه من صفات المؤمنين المتبعين للرسول وهم الكُمَّل في أنفسهم المكملون لغيرهم وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي» (٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (٣).

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١ / ٣٩).

(٣) رواه البخاري (٧١، ٣٢٢٦)، ومسلم (١٠٣٧).

قال الآجري: «فلما أراد الله تعالى بهم خيراً ففهمهم في الدين، وعلمهم الكتاب والحكمة، وصاروا سراجاً للعباد ومنازراً للبلاد»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ»^(٢).

كل هذه النصوص تهتف بالداعية والمربي ليحوز شرف الخيرية حين يعلم الذكر ويتفقه في دين الله لينقذ به ضلال الطريق.

وما أجمل قول الشيخ ابن باز رحمته الله: «والعلماء الذين أظهروا العلم هم خيرة الناس، وأفضلهم على وجه الأرض، وعلى رأسهم أئمتهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، والأنبياء، فهم القدوة والأساس في الدعوة والعلم والفضل، ويليهم أهل العلم على طبقات: فكل من كان أعلم بالله وبأسمائه وصفاته، وأكمل في العمل والدعوة كان أقرب الناس من الرسل، ومن درجاتهم ومنازلهم في الجنة، فأهل العلم هم أئمة هذه الأرض ونورها وسرجها، وهم أولى بها من غيرهم»^(٣).

هيا بنا نحمل مشعل الهداية ندعو إلى الله ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونُعلم الناس الخير؛ علنا نحقق الخيرية لأمتنا.

(١) أخلاق العلماء، الآجري (٩٤).

(٢) رواه البخاري (٤٥٥٧).

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، إشراف محمد الشويعر (٢ / ٣٠٩).

الثمرة الثلاثون: الذكر الحسن في الحياة وبعد الممات

السيرة الطيبة والذكر الحسن في واقع الحياة مطلب يتوق إليه العقلاء، والأخبار حين يسعون في نشر الخير بين الناس ويحملون هم الدعوة إلى الله ليل نهار مقتفين هدي محمد ﷺ يسألون الله ويلحون عليه أن يجعل لهم لسان صدق في الآخرين، اقتداءً بدعوة الخليل ﷺ حين سأل ربه فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً وثناءً حسناً باقياً فيمن يجيء من القرون بعدي»^(١).

وقال الألوسي رَحِمَهُ اللهُ: «أي اجعل لنفسي ذكراً صادقاً في جميع الأمم إلى يوم القيامة، وحاصله خلد صيتي وذكري الجميل في الدنيا، وذلك بتوفيقه للأثار الحسنة والسنن المرضية لديه تعالى المستحسنة التي يقتدي بها الآخرون، ويذكرونه بسببها»^(٢).

لقد لهج إبراهيم ﷺ بذلك الدعاء العظيم إلى ربه ﷻ فحقق له ما أراد، بل

(١) جامع البيان، القرطبي (١٧ / ٥٩٣-٥٩٤).

(٢) روح المعاني، الألوسي (١٩ / ٩٨).

شمل به إسحاق ويعقوب عليهما السلام فقال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠].

يعلل سبب نيل تلك المنزلة الإمام السعدي رحمته الله فيقول: «لأن الله وعد كل محسن أن ينشر له ثناء صادقاً بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملاً الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكراهم في سائر العصور متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»^(١).

وصدق والله الإمام أبو حيان حين قال: «والذكر الجميل قائم مقام الحياة، بل هو أفضل من الحياة؛ لأن أثر الحياة لا يحصل إلا في الحي، وأثر الذكر الجميل يحصل في كل مكان، وفي كل زمان»^(٢).

وقال ابن دريد:

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وقال الآخر:

إنما الدنيا محاسنها طيب ما يبقى من الخبر»^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٩٤).

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (١٩/٨).

(٣) المصدر السابق (١٩/٨).

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ومن له في الأمة لسان صدق عام، بحيث يُثنى عليه

ويحمد في جماهير أجناس الأمة؛ فهؤلاء هم أئمة الهدى، مصابيح الدجى» (١).

وهذا الثناء الحسن في الدنيا هو عاجل البشرى فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قيلَ

لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ:

«تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (٢).

وعند رحيل العبد الصالح الذي يسعى في بذل الخير تلهج له الألسن بالثناء

الحسن والذكر الجميل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا

خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ»

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ

الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» (٣).

إن من أعظم ما يسلي الداعية إلى الله صلى الله عليه وسلم، أن يرحل عن هذه الحياة وآثاره لا

تزال باقية، بل تنمو وتتوسع رقعتها، فكم من دعاة رحلوا عن صفحة الحياة ونحن

نبصر ثمار غراسهم، ونتاج كدحهم وبذلهم، فيا لله ما أعظم الدعوة إلى الله صلى الله عليه وسلم وما

أطيب جناها، ويا لله ما أعظم ما ربحوا، فكم ممن وُسد قبره وهو يسعد وينعم بما

يُجرى عليه من الحسنات!

(١) الفتاوى، ابن تيمية (١١ / ٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٣) رواه البخاري (١٣٦٧).

سائل جموع المهتدين وقل لهم
سائل فتى القرآن عن آياته
وسل المساجد هل طوت تاريخهم
وسل الفقير وقد شكى من كربة
وكذا الملائك سطرت أخبارهم
بمنابر التعاليم خُلد ذكرهم
ما جفت الأقلام عن أخبارهم
عقب من الذكرى يفوح أريجها
يتناقل السَّمَارُ طيبَ حديثهم
هذا هو الخطو المبارك سعيه
رسمُ الحقيقة ساحرٌ في لونه
والله ما رحلوا فتلك خطاهم
يا رب فاجمعنا بهم في جنّة

أولستُم غرسًا يطل ويزهرُ
يسبي فؤادك بالتلاوة يُبهرُ
كلا فمحراب الحقيقة يخبرُ
أو ليس قد كانوا لكسرٍ يُجبرُ
فيض من البذل المبارك يُنشرُ
النشءُ يشهدُ والمحابر تقطرُ
لا زال يُملئُ في الكتاب ويُسطرُ
أزكى من العود العتيق وأعطرُ
البدر حدث والكواكب تسمرُ
في لوحة الأيام كان يصورُ
يسبي الفؤاد فكل عينٍ تنظرُ
الحرث بادٍ والسنبالُ تُثمرُ
برضاك يا ربي هناك نبشرُ

فهيأ بنا أيها الداعية نرسم لوحة مشرقة لمستقبل حياتنا، نملؤها بالذكر الحسن، وإنما نحقق ذلك إذا ارتسمنا سيرة المصلحين في حياتنا فكننا دعاة إلى الله، أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعل لنا لسان صدق في الآخرين.

الثمرة الحادية والثلاثون:

الفوز برحمة الله

الرحمة عطاء إلهي، ومنحة ربانية، من وهبه الله إياها وفتح عليه من كنوزها، توافدت إليه المسرات، وأتته الخيرات من حيث لا يحتسب، ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

من يفتح الله له رحمته، يجدها في كل شيء، وفي كل حال، وفي كل مكان، يجدها في نفسه وفي مشاعره، ويجدها في ليله ونهاره، ويجدها في أهله وذريته، حتى في حال البلاء والكرب كما وصف شيخ الإسلام ابن تيمية حاله فقال: «أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحمت فهي معي لا تفارقني، إن حسبي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»^(١).

ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله! وتشعر بها وتلمسها، فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك من بركاتها، وشعورك بوجودها هو الرحمة، ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة، وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة.

يا لله ما أعظم فوز من غشيته رحمة الله، وأوفر الناس نصيباً من هذه

(١) الوابل الصيب، ابن القيم (٦٧).

الرحمة من قام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنِّي حَدِيثًا فَحَفِظَتْهُ، حَتَّى يَبْلُغَهُ غَيْرُهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ» (١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «نعم المجلس المجلس الذي تُنشر فيه الحكمة، وترجى فيه الرحمة، هي مجالس الذكر» (٢).

يقول محمد الخطيب رحمته الله: «يا معشر المؤمنين، لقد جاءكم البشير النذير، بقول الرحمن الرحيم ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ فأي شيء تبتغون فوق رحمته؟ وأي شيء تطلبون بعد جنته؟ ولم يجعل جل شأنه سبب الوصول إلى رحمته عسيرًا شاقًا؛ بل هو طلبة كل إنسان كامل، وبغية كل شخص عاقل وقد وصف الله تعالى أولئك الذين اصطفاهم لجنته، واختصهم برحمته بقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) رواه ابن حبان (٦٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، (٦٧).

(٢) لطائف المعارف، ابن رجب (ص: ١٤).

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١﴾

تأمل أخي في خبر فتية الكهف لما صدعوا بدعوة الحق بين ظهراني قومهم:

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِن دُونِهِ ۗ إِلَهًا

لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ [الكهف: ١٤]، كيف كانت عناية الله بهم؟ أمرهم سبحانه أن يأووا

إلى الكهف ونشر لهم من رحمته فمكثوا ثلاثمائة وعشر سنين، يكلؤهم ويرعاهم

ويحفظهم ويحرسهم، لم يؤثر فيهم كزّ الليالي والأيام والشهور والأعوام، يقلبهم

يمنة ويسرة لتسلم أبدانهم من التلف، في لطف رباني، فما أعظم بره ولطفه وإحسانه

إذا نشر رحمته لأحدٍ من عباده.

نعمة جليلة وفوز عظيم يظفر به العبد حين ينضم إلى قافلة الدعاة، فلنشمر

عن ساعد الجد ولنستثمر عمرنا الثمين في التجارة مع رب العالمين، تجارة لن

تبور، نسأل الله بمنه وكرمه أن ينشر لنا من رحمته ويجعلنا من أهل دعوته إنه هو

البر الرحيم.



(١) أوضح التفاسير، محمد الخطيب (١/ ٢٣٤).

الثمرة الثانية والثلاثون:

الربانية

الربانية وسام لا يتوج به إلا أهل التعليم والدعوة والتربية، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، قال أبو جعفر: «وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يرب الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها، فمعنى الآية: ولكن يقول لهم: كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم في أمر دينهم ودنياهم، ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام، وفرض وندب، وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم، وبتلاوتكم إياه ودراستكموه»^(١).

وعرّف علي بن أبي طالب رضي الله عنه الربانيين بقوله: «هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها»^(٢).

وقال القاسمي رحمته الله: «﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾ أي: منسوبين إلى الرب لاستيلاء الربوبية عليهم وطمس البشرية، بسبب كونهم عالمين عاملين معلمين تالين

(١) جامع البيان، الطبري (٥ / ٥٢٩).

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي (١ / ٤١٣).

لكتاب الله. أي: كونوا عابدين مرتاضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطاعات، حتى تصيروا ربانيين»^(١).

فالرباني هو الكامل في العلم والعمل، الشديد التمسك بطاعة الله ﷻ وتقواه، والحريص على تعليم الناس وتربيتهم على ما فيه خيرهم وصلاح أمرهم في الدنيا والآخرة^(٢)، وعندما يرقى العالم إلى هذه المنزلة تكلؤه العناية الربانية، ويكون في علمه وعمله وتربيته على نور من ربه، صحيح النسبة إلى مولاه رب العالمين، وهذه سبيله لأنه يكون ربانياً، يربي بالكلمة والعمل والقدوة^(٣).

وبين الإمام ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ متى يكون العبد ربانياً فقال: «فجهاد النفس أربع

مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيئات، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

(١) محاسن التأويل، القاسمي (٤ / ٨٧٣).

(٢) المصدر السابق ص ١٧.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه»^(١).

وبين ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ منزلة الربانية فقال: «هي أفضل درجات الأمة، ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل من علم بتعليمهم وإرشادهم أو علم غيره شيئًا من ذلك كان له مثل أجره ما دام ذلك جاريًا في الأمة على آباد الدهور»^(٢).

وعلق الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ على قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ فقال: «أي علماء حكماء حلما معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل،... وبسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين»^(٣).

ما أعظم منزلة المربي والمصلح والداعية إلى الله؛ «فإذا ذكر العلماء العاملون

(١) زاد المعاد، ابن القيم (٩/٣).

(٢) طريق الهجرتين، ابن القيم (١/٥١٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (١٣٦) بتصرف يسير.

والمربون الناصحون، ودعاة الهداية المخلصون، أولئك الذين يجمعون إلى العلم النافع والعمل به، حرصاً على صلاح أمور الناس في دينهم ودنياهم، وتعليمهم ما فيه خيرهم وصلاح عاجلهم وآجلهم... إذا ذكر هؤلاء فحيّلاً برباني هذه الأمة، الذين همُّهم هداية الخلق إلى سواء الصراط؛ فتراهم وقد استنارت قلوبهم وعقولهم بحقائق الهدى والخير، يعلمون بحكمة وروية، وهم على حال من صدق العزيمة في نصح الآخرين، والشفقة عليهم مهما كلفهم ذلك من متاعب، ولاقوا في سبيله من مصاعب، يربون -جاهدين صابرين- بالكلمة النافعة، والقُدوة المشرفة المعبرة»^(١).

أيها المربي والداعية إلى الله هل هناك وسام أعلى وأنفس من وسام الربانية؟

ألا تتوق نفسك إلى ذلك؟ فقم داعياً مربيّاً معلماً ناشراً للخير واستثمر عمرك الثمين لعلك تحوز هذا الوسام.



(١) الربانيون، محمد أديب الصالح (١٣).

الثمرّة الثالثة والثلاثون: الإمامة في الهدى والصلاح

من منح الرب جل وعلا وهباته أن يختص من شاء من عباده ليكون إماماً للناس في الخير والهدى والصلاح يُقتدى به وتقتفى آثاره، ولذا نجد إبراهيم عليه السلام لما أخبره ربه ﷻ أنه اصطفاه لهذه المنزلة العلية تمنّاها لذريته كما قال تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، «أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية، ويحصل لك الثناء الدائم، والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد.

وهذه -لعمركم الله- أفضل درجة، تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام، شمر إليه العاملون، وأكمل حالة حصلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله.

فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته، لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضاً من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبه أن يكثر فيهم المرشدون، فله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية»^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٥).

وقد كان من دعاء عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] «وسؤالهم أن يجعلهم
أئمة للمتقين هو سؤال أن يهديهم ويوفقهم ويمنّ عليهم بالعلوم النافعة والأعمال
الصالحة ظاهراً وباطناً التي لا تتم الإمامة إلى بها، وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات
إلى اسمه الرحمن جلا جلاله ليعلم خلقه أن هذا إنّما نالوه بفضل رحمته ومحض
جوده ومنتته، وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه السورة الغرف وهي المنازل العالية
في الجنة لما كانت الإمامة في الدين من الرتب العالية بل من أعلى مرتبة يعطاها
العبد في الدين كان جزاؤه عليها الغرفة العالية في الجنة»^(١).

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة
الصديقين والكمّل من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا
قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يُقتدئ بأفعالهم، ويُطمئن لأقوالهم، ويسير أهل
الخير خلفهم فيهدون ويهتدون»^(٢).

ولكن كيف يكون العبد إماماً في الدين والهدى والصلاح؟ يجب على ذلك

الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «أخبر تعالى أنه جعلهم أئمة يأتهم بهم من بعدهم
لصبرهم ويقينهم؛ إذ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فإن الداعي إلى الله

(١) الروح، ابن القيم (٢٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٢٦٦).

تعالى لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه، وبصبرته به، وصبره على تنفيذ الدعوة إلى الله، باحتمال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يوهن عزمه ويضعف إرادته، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره تعالى^(١).

من هنا وجب على المربي والمصلح ومعلم الخير أن يلهج لله ﷻ بالدعاء أن يجعله إماماً في الخير والصلاح وأن يملأ قلبه بالإيمان واليقين وأن يجاهد نفسه على نشر الخير والدعوة إلى الله ﷻ متسلحاً بالصبر على ما يلقاه في سبيل دعوته لعله يلحق بركب أئمة الهدى.



(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤ / ١٠٣).

الثمرة الرابعة والثلاثون:

الفلاح

الفلاح مطلب عزيز تتوق إليه نفوس الصالحين، ويطمح إليه أرباب المعالي، فهو شرف الدنيا والآخرة، وأولى الناس بهذا الشرف الدعاة إلى الهدى، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، «وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع... ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب»^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (١٤٢).

تأمل قول رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هَدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَرُزِقَ الْكَفَافَ،
وَقَنَّعَ بِهِ»^(١)، إخبار بأن من هدي للإسلام فقد حاز الفلاح فكيف بمن يقود القلوب
إلى الله ﷻ، ويسعى في هدايتها ويجهد في الدعوة إلى دينه؟ أفلح والله من كانت
رسالته في الحياة دلالة القلوب على الله، جعلنا الله بمنه وكرمه منهم وألحقنا بركبهم
وحشرنا في زميرتهم، هو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.



(١) رواه الحاكم (٧١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١١٣٨).

الثمرة الخامسة والثلاثون:

أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة

يوم القيامة يومٌ ترتجف فيه قلوب العباد خوفاً ووجلاً، فكلٌ يلتمس النجاة بكل سبيل، فيكون للمبلغين هدي النبي ﷺ الذين لا تفتّر ألسنتهم عن الصلاة عليه المكافأة الغالية، وهي أن يكونوا أولى الناس برسول الله ﷺ يوم القيامة فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة» (١).

قال ابن حبان: «في هذا الخبر دليل على أن أولى الناس برسول الله ﷺ في القيامة أصحاب الحديث، إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه ﷺ منهم» (٢).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: «وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها؛ لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكرًا» (٣).

قال المناوي رحمته الله: «أقربهم مني يوم القيامة وأولاهم بشفاعتي وأحقهم

(١) رواه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٦٨).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/١٩٣).

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٣٥).

بالإفاضة من أنواع الخيرات ودفع المكروهات (أكثرهم علي صلاة) في الدنيا؛ لأن كثرة الصلاة تدل على نصوص العقيدة وخلوص النية وصدق المحبة والمداومة على الطاعة والوفاء بحق الواسطة الكريمة، ومن كان حظه من هذه الخصال أوفر كان بالقرب والولاية أحق وأجدر، قالوا وهذه منقبة شريفة وفضيلة منيفة لأتباع الأثر وحملة السنة فيا لها من منة^(١).

والجزاء من جنس العمل، فكما كان أهل الحديث أهل حديث النبي ﷺ في الدنيا، وأولى الناس به ﷺ فيها؛ كانوا أيضاً أولى الناس به يوم القيامة!! ويا له من شرف ومكانة وفضل!! لا يدانيه شيء أبداً!!!

ورحم الله القائل:

دين الرسول وشرعه أخباره وأجلُّ علم يقتني آثاره
من كان مشتغلاً بها وبنشرها بين البرية لا عفت آثاره^(٢).

إنها ثمرة عظيمة في موقف عصيب يتخلى عن العبد أقرب الناس إليه أمه وأبوه وصاحبتة وأخوه، بينما يتولاه رسول الله ﷺ، يا الله ما أعظمها من ثمرة؟

مبارك عليك يا ناقل سنة النبي ﷺ وهدية، مبارك عليك ولاية النبي ﷺ يوم القيامة، ومن كان النبي ﷺ وليه فاز بولاية الله وحمایته وكان من الأمنين يوم القيامة

(١) فيض القدير، المناوي (٢/ ٦٥٠).

(٢) التدوين في أخبار قزوين، أبو القاسم الرافعي (٢/ ٢٢٦).

واحد وخمسون ثمرة للمعلمين والمربين والدعاة والمصلحين

كما أخبر ﷺ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]،

اللهم اجعلنا منهم بمنك وكرمك يا حي يا قيوم.



الثمره السادسة والثلاثون:

إجابة الدعاء في الأزمات

في الأزمات والفتن وتتابع البلاء ينعدم النصير، ولا يبقى ملجأ للعباد إلا الله ﷻ، فإن تخلى عنهم سبحانه، باؤوا بالهلاك و البوار، ولا يتخلى الله عن عباده إلا إذا تخلوا عن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ﷻ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حفزه شيء، فتوضأ ثم خرج فلم يكلم أحداً، فدنوت من الحجرات فسمعتة يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي، فَلَا أَنْصِرُكُمْ»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(٢).

يا الله أي عقوبة هذه! أو حقاً يدعو الناس ربهم فلا يستجيب لهم؟! الله الذي يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، الله الذي يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

(١) رواه الإمام أحمد (٢٥٢٥٥)، وابن ماجه (٤٠٠٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، (٢٣٢٥).

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿ [البقرة: ١٨٦]، الله الذي يقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، الله الذي أخبرنا حبيبنا محمد ﷺ عنه فقال: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَجِيبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(١)، هل يمكن أن يُعرض عن عباده فلا يستجيب دعاءهم؟! نعم يحدث ذلك إذا عَطَّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه «القطب الأعظم في الدين، المُهْمُ الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل عمله، لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد»^(٢).

أخي المبارك، إن قيامنا بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدلالة على الخير، وهداية القلوب إلى الله، هو استنقاذ لأنفسنا ومجتمعاتنا من الهلاك، وأعظم هلاك أن يعرض الرب جل وعلا عنا، فلا يستجيب دعوة الداعين، ولا تضرع المتضرعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلنبادر إلى إحياء هذه الشعيرة، ولنكن دلال خير، ودعاة فضيلة، حراساً للمجتمع من الزيغ والهلاك، حتى نسلم من العقوبات، تأمل قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

(١) رواه أبو داود (١٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٣٧).

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي (٢/ ٣٠٦).

الثمره السابعة والثلاثون: اجتماع الكلمه والسلامه من الفرقة والاختلاف

من أعظم منن الله على نبيه ﷺ أن أَلَّفَ الله به قلوب صحابته ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأفال: ٦٣]، فالفرقة والاختلاف داء خطير إذا أُصِيبَ به مجتمعٌ من المجتمعات كان مصيره الفشل والبوار، وحل به عقاب الله وسخطه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولا يحمي المجتمع من التفرق والاختلاف إلا إقامة دين الله، والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من أنكى العقوبات التي تنزل بالمجتمع المهمل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتحول ذلك المجتمع إلى فرقٍ وشيعٍ تتنازع الأهواء، فيقع الاختلاف والتناحر؛ ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَّيُذِيقَ بَعْضَكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وإن مما يدل على ارتباط التفرق والتناحر بترك الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر أن الله ﷻ قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ثم قال بعد ذلك مباشرة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

يؤكد هذا المعنى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «ترك الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للتفرق؛ لأنه أعقب الآية السابقة بهذه الآية ما يدل أن ترك الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للتفرق»^(١).



(١) تفسير سورة آل عمران، ابن عثيمين (٢ / ٢٥).

الثمرة الثامنة والثلاثون:

حفظ المجتمع من الهلاك

من رحمة الله بأمة محمد ﷺ أن جعل لها أمناً من الهلاك، إذا قام بعض أفرادها بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبذلك ينتشر الخير ويعم، ويزول الشر والخبث أو يحاصر، أما إذا تخلينا عن ذلك، وتفشى الخبث في المجتمع، حل بنا الهلاك ونزل علينا البلاء؛ يضرب النبي ﷺ لهذه الحقيقة مثلاً فيقول: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»^(١).

ولن يعصم الأمة من الهلاك كثرة الصالحين، إذا لم يقوموا بواجب الدعوة، ومحاربة الخبث، يجلي ذلك النبي ﷺ في قصته مع زينب بنت جحش رضي الله عنها حين دخل عليها فرعاً يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ

(١) رواه البخاري (٢٤٩٣).

جَحْشٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّهُلِكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ» (١).

«مما يدل عليه هذا الحديث أن الأمة بأسرها: صالحوها وفجارها يعمها الدمار والهلاك لكونها لم تقم بمهمة التبليغ، ومسؤولية التغيير، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالصالحون منها يشملهم الهلاك، لكونهم سكتوا عن استئراء الفساد والمنكر، ورضوا بواقع الذل والمهانة» (٢).

هذا الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ يَتَأَسَفُ عَلَى تَضْيِيعِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ فِي زَمَانِهِ، وَالتَّفْرِيطِ

فِيهَا، فَيَقُولُ: «واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره، من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم، به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم، أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ، أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابنَّ مَنْ يَنْكُرُ عَلَيْهِ» (٣).

ومن تأمل قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَّهُونَ

(١) رواه البخاري (٣٣٤٦).

(٢) سلسلة مدرسة الدعوة، عبد الله ناصح علوان (١ / ١٠٦).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (٢ / ٢٤).

عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا

مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ [هود: ١١٦،

١١٧]، وجد الدلالة واضحة جلية أن من أعظم أسباب النجاة من الهلاك وجود المصلحين الذين ينهون عن الفساد في الأرض، فالأمة التي يقع فيها الفساد فتجد من ينهض لدفعه وإنكاره أمة ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، أما الأمة التي لا يكون فيها من ينهض للنهي عن الظلم والفساد، فإن سنة الله تحقق عليها، إما بهلاك الاستئصال، وإما بهلاك الانحلال والاختلال!

فالدعاة والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الذين يرفعون راية الإصلاح، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها، هم صمام الأمان للأمم والشعوب، إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله، واستحقاق الدمار والهلاك.

إن الخطر عظيم جداً عندما يُترك الحبل على الغارب للمُترفين، دون دعوة أو أمر بمعروف ونهي عن منكر؛ فالمترفون في كل أمة هم أصحاب المال والثراء يجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة والراحة ويقودهم ذلك إلى البطر وعدم شكر نعم الله فيرتعون في الفسق والمجانة، ويستتهر بالأخلاق والقيم وتعظيم الحرمات، فيتتهكون الأعراض ويقعون في الحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يأخذ على أيديهم وينكر عليهم ما هم فيه من مقارفة المنكرات عاثوا في الأرض فساداً،

ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها وأرخصوا الأخلاق التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا

«فمتى غرقت أمة من الأمم في الترف، وأبطرته الرفاهية التي تجر ذبولها مستكبرة، دبت فيها عوامل الانهيار الخلقي، وبدأت تنسى الله والدار الآخرة، وتتعلق بزخرف الحياة الدنيا كأنها فيها خالدة، وتسعى وراء غرائب اللذات، وتتجدد لديها مطالب مستنكرة من متع الحياة، وأخذ مترفوها يتنافسون في ابتكار أنواع مستحدثة مما يشتهون أو به يتلهون، ويبددون فيها أموالهم، ويبدلون فيها طاقاتهم الجسدية والفكرية والنفسية، ويتفننون في تصيد المتع من كل وجه، حتى إذا ما اختبروا ما أباح الله من لذات سئموها، ولذَّ لهم أن يتجاوزوا حدود ما أحل إلى ما حرم، وعندئذ يتسابقون إلى ارتكاب غرائب المحرمات والموبقات، حتى يفقدوا كل ذوق إنساني مقبول، ويضعوا أنفسهم في الممتنات القذرات المهلكات.

هذا الجو المكفهر المجرد من المعاني الإنسانية الكريمة، المشحون بالأناية القاتلة، من أكثر الأجواء النفسية والاجتماعية ملاءمةً لموت الفضائل الخلقية والكمالات السلوكية، ولنمو الرذائل الفردية والاجتماعية، وللوصول بالأمة إلى أدنى دركات الانهيار والضعف»^(١).

(١) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة (ج ١ ص ٤١٧).

«فالترف عامل من أقوى وأسرع وأخبث عوامل التفتت الاجتماعي، وانحلال روابط المجتمعات البشرية؛ لأن الانغماس في مراتع الشهوات وإشباع الغرائز المنهومة يميئ الشعور بالنخوة، ويقتل الإحساس بالعزة والغيرة، ويجعل الرذائل من مؤلفات الحياة في هذه المجتمعات المنحدرة إلى هاوية الانهيار، بل يجعل الرذائل ميداناً للتنافس الفاجر، فلا يهتم أحد برفع رأسه إنكاراً لها، بل يجد المجتمع في كبرائه المترفين من ينكر على من ينكر هذه الرذائل، وتصبح الفضائل الخلقية والقيم الروحية غرائب في نظر هذا المجتمع المنحل المتحلل، وعندئذ تحق عليهم كلمة الله، وتحل بهذا المجتمع عوامل الفناء، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٦، ١١٧]، وهذه الآية تبين أن أهل الخير والصلاح لو قاموا بواجب النهي عن الفساد في الأرض بصدق وإخلاص وشجاعة في الحق وللحق، لنجا المجتمع وسلم من انتقام الله وبطشه»^(١).

ومن هنا فإن دور الداعية إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ المجتمع المسلم من الهلاك والدمار عظيم جداً عظيم، فهو الحافظ بعد الله لحياض المجتمع، الساهر على صلاحه، وسلامته، فقد سماه رسول الله ﷺ

(١) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، محمد عرجون (ص ١٧).

بالقائم على حدود الله، فهو الذي يأخذ على أيدي أهل الفساد، فيكون سبباً لنجاة المجتمع من الغرق في الفساد، ثم الهلاك والدمار، فهل يستشعر الداعية إلى الله، الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أنه صمام الأمان للمجتمع؟ وأن المجتمع يهتف به، خذ بأيدينا إلى النجاة، لا تدعنا نغرق.



الثمرة التاسعة والثلاثون:

الأمن من الخسران

النجاة من الخسران مطلب كل عاقل لبيب، وقد جاءت سورة العصر تهتف بهذا المعنى وتبين السبيل إلى النجاة من الخسران، تلكم السورة العظيمة التي قال عنها الإمام الشافعي: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم»^(١)، قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: ١-٣]. «أقسم سبحانه وتعالى بالدهر الذي هو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة على أن كل واحد في خسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالعمل بطاعته، فهذا كماله في نفسه، ثم كمل غيره بوصيته له بذلك وأمره إياه به، وبملاك ذلك وهو الصبر، فكمل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكمل غيره بتعليمه إياه ذلك ووصيته له بالصبر عليه»^(٢).

فسورة العصر تبين أن «شرط النجاة من الخسران جعله الله تبارك وتعالى معلقاً بمعرفة الناس للحق، وإذا عرفوه ألزموا أنفسهم به، ومكنوه من قلوبهم، وعاشوا بالحق وللحق، ولا يُعَفَّون من المسؤولية، ولا ينجون بأنفسهم إذا عرفوا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨ / ٤٧٩).

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم (١ / ٢٥).

الحق ولم يبشروا به، ويدعوا الناس إليه، ويحملوهم حملاً على التمسك بالحق واتباع الحق، فالدعوة إلى الحق والتبشير به فرع الإيمان بالحق ومعرفة الحق، ولا يتم الأصل بدون الفرع، الذي هو الدعوة إلى الحق والتبشير به بين الناس، ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه ويتبعه فهو من الخاسرين» (١).

عبد الله أما تخاف على نفسك الخسران؟ ألم يطرق سمعك قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]؟ فهذا بادر إلى إنقاذ نفسك، وشارك في الدعوة إلى الله لتأمن بإذن الله من الخسران وتكون من عباد الله المفلحين.



(١) عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور، محمد الصواف (٨٧).

الثمرة الأربعون: النجاة من وعيد تضييع الرعية

المسلم مؤتمن، ومن أعظم الأمانات التي وكّل بها الرعية التي تحت يديه فإنه مسئول عنها، ومن أعظم ما يُسأل عنه دلالتها على الخير ودعوتها إلى الهدى، تأمل قول رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَعِيَهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١)، وفي رواية البخاري: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطَهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(٢).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «معناه بيّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما أوتمن عليه، فلم ينصح فيما قلده إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم، وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصد لإدخال داخله فيها أو تحريف لمعانيها أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم، ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم، فقد غشهم...»

(١) رواه مسلم (١٤٢).

(٢) رواه البخاري (٧١٥٠).

وقد نبه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة، والله أعلم» (١).

أخي الداعية، إن السبيل للنجاة من هذا الوعيد أن تؤدي الأمانة التي وكلها الله إليك، وتقوم على رعيته التي استرعاك الله إياها؛ بالنصح، والتوجيه، والدعوة، والتربية، والإصلاح، واستفراغ الجهود في بذل النصيحة، عندها تنجو من هذا الوعيد بإذن الله تعالى، وتنضم إلى قافلة الدعاة إلى الله، قافلة الأنبياء والمرسلين الذين قاموا في الأرض بالنصيحة.

إن الولايات التي يقوم عليها المسلم كثيرة جدًّا، فالأمير راعٍ، والقاضي راعٍ، والعالم راعٍ، والمعلم راعٍ، ورب الأسرة راعٍ، وكلُّ مسئول عن رعيته، هل قام فيها بحق الله؟ وهل كان ناصحًا لها؟ أعاننا الله وإياك على أداء هذه الأمانة.



(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (٢ / ١٦٦).

الثمرة الحادية والأربعون: السلامة من اللعنة

اللعنة مقت وشقاء في الدنيا والآخرة، يفر منها المؤمن، ويستعيذ بالله أن تلحق به، والمفردون في تبليغ دين الله، والكاتمون لما يحملون من العلم معرضون لهذا الوعيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

قال الإمام ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاء به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده من كتبه التي أنزلها على رسله» (١).

«وفي هذه الآية من الوعيد الشديد، ما لا يُقَادَرُ قدره، فإن من لعنه الله ولعنه كل من يتأتى منه اللعن من عباده قد بلغ من الشقاوة والخسران إلى الغاية التي لا تُلْحَقُ، ولا يُدْرِكُ كُنْهَهَا» (٢)، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما من الله به عليهم، من علم الكتاب، ولا يكتمونه، فمن نبذ ذلك، وجمع بين المفسدتين: كَتَمَ ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعدهم، ويطردهم

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير (١/ ٤٧٢).

(٢) فتح القدير، الشوكاني (١/ ٢٠٨).

عن قربه ورحمته، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم... فالكاتم لما أنزل الله مصادقاً لأمر الله، مشاققاً لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد» (١).

هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يَنْذِرُ مِنْ مَعْبَةِ كِتْمِ الْعِلْمِ فَيَقُولُ: «فَالْمُرْصِدُونَ للعلم، عليهم للأمة حفظ علم الدين وتبليغه، فإذا لم يُبلِّغُوهم علم الدين، أو ضيَّعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، فَإِنَّ ضَرَرَ كِتْمَانِهِمْ تَعَدَّىٰ إِلَى الْبَهَائِمِ وَغَيْرِهَا، فَلَعْنَهُمُ اللَّاعِنُونَ حَتَّى الْبَهَائِمِ» (٢).

تأمل معي خبر الصحابي الجليل أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد استشعر عظيم وقع هذه الآية وهو يسمع كلام الناس عليه في كثرة الرواية عن النبي ﷺ حيث قال: «يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ. وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ. وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مِسْكِينًا

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٧٧).

(٢) الفتاوى، ابن تيمية (٢٨ / ١٨٧).

أَلَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ مِلءَ بَطْنِي، فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيْبُونَ وَأَعْيِي حِينَ يَنْسُونَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثُوبَهُ حَتَّى أَفْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا». فَسَطَطْتُ نَمْرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثُوبٌ غَيْرَهَا، حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَيَّ يَوْمِي هَذَا، وَاللَّهِ لَوْ لَا آيَاتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ (١).

هذا أبو هريرة راوية الدنيا، الذي لا تفتقر الألسن عن اللهج باسمه والترضي عنه كل صباح ومساء، ومع ذلك يخاف من آية كتمان العلم، فكيف لا يخاف العبد من وعيد كتمان العلم وهو يعلم قول النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (٢)، إن المسؤولية عظيمة، والواجب كبير، ولا مخرج من ذلك، إلا بالسعي الحثيث لتبليغ العلم، والدعوة إلى الله، والنصيحة لعامة المسلمين، وليكن منا على بال، قول النبي ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ، وَمَا وَآلَهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا» (٣).

لو سأل الواحد منا نفسه: كم نعلم من الآيات ونصوص السنة النبوية؟ ثم كم بلَّغنا ونشرنا من تلك الآيات والسنن؟ أفلا نخاف من وعيد كتمان العلم؟ إن ذلك يوجب علينا أن نتحرك بنشر الخير والدعوة إلى الهدى لنسلم من هذا الوعيد الشديد.

(١) رواه البخاري (٢٣٥٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١).

(٣) رواه ابن ماجه (٤١١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٢٦).

الثمرة الثانية والأربعون:

النجاة من عقوبة كتم العلم

كتمان العلم وعدم نشره والقعود عن تبليغه للناس والاشتغال بالدنيا عن

ذلك جريمة عظيمة، رتب الله عليها الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِءً مِمَّا قَلِيلًا أَوْلِيكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي

بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾

أَوْلِيكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٤﴾

[البقرة: ١٧٤، ١٧٥]، «هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله، من العلم

الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، فمن تعوض عنه

بالحطام الدنيوي، ونبد أمر الله، فأولئك: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأن هذا

الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان

جزاؤهم من جنس عملهم، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بل قد سخط عليهم،

وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا

يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء

عليها، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل

بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه،

واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟... وقد تضمنت هذه الآيات الوعيد للكاتبين لما أنزل الله، المؤثرين عليه عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق، ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى، فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار»^(١).

تأمل أخي الوعيد الشديد الذي ذكره رسول الله ﷺ لمن كتم العلم ولم يبلغه ولم ينشره بين الناس؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سِئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ما أعظمها من عقوبة، فمن يقوى على لجام من نار؟ جزاءً وفاقاً، ألجم نفسه عن تبليغ دين الله حال الحياة فكان الجزاء من جنس العمل، نجانا الله من هذا الوعيد.

إن المخرج من هذا الوعيد إنما يكون في الدعوة إلى الله ﷻ، وتبليغ العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٨٢، ٨٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٢٠).

الثمرة الثالثة والأربعون:

صلاح الأعمال وقبولها

صلاح الأعمال وقبولها أمر أرق الصالحين على مر الزمان، كما وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهْوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ - أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ - وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ»^(١).

قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، والمنافق جمع إساءةً وأمنًا»^(٢).

وقال فضالة بن عبيد: «لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾»^(٣).

وقال ابن دينار: «الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل»^(٤).

(١) رواه ابن ماجه (٤١٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٤١٨٨).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٣/ ٣٦٨).

(٣) لطائف المعارف، ابن رجب (ص: ٢٠٩).

(٤) المرجع السابق (ص: ٢٠٩).

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: «أدرکتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهمم أيقبل منهم أم لا»^(١).

أيها المربي والداعية، دعني أرف إليك بشرى من نوع خاص، إذا اتقيت الله وكنت صاحب قولٍ سديدٍ، تدعو إلى الخير والمعروف، عندها تفوز بصلاح الأعمال وقبولها، ومغفرة الذنوب، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿الأحزاب: ٧٠، ٧١﴾، قال القاسمي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: بإمداد الصلاح والكمالات والفضائل عليكم».

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يأمر تعالى المؤمنين بتقواه في جميع أحوالهم؛ في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه».

ومن القول السديد لين الكلام ولطفه في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح.

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾

(١) المرجع السابق (ص: ٢٠٩).

أي: يكون ذلك سبباً لصلاحها، وطريقاً لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، ويوفى فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال بحفظها عما يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعدم قبولها، وعدم ترتب آثارها عليها^(٢).

يجلي معنى القول السديد وثمرته الإمام ابن عاشور فيقول: «ويشمل القول السديد ما هو تعبير عن إرشاد من أقوال الأنبياء والعلماء والحكماء، وما هو تبليغ لإرشاد غيره من مآثور أقوال الأنبياء والعلماء، فقراءة القرآن على الناس من القول السديد، ورواية حديث الرسول ﷺ من القول السديد... وكذلك نشر أقوال الصحابة والحكماء وأئمة الفقه، ومن القول السديد تمجيد الله والثناء عليه مثل التسبيح... فبالقول السديد تشيع الفضائل والحقائق بين الناس فيرغبون في التخلق بها... ولما في التقوى والقول السديد من وسائل الصلاح جعل للآتي بهما جزاء بإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب... فأصلاح الأعمال جزاء على القول السديد؛ لأن أكثر ما يفيد القول السديد إرشاد الناس إلى الصلاح أو اقتداء الناس بصاحب القول السديد»^(٣).

(١) لطائف المعارف، ابن رجب (ص: ٢٠٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٦٧٣).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١ / ٣٤٣).

فدونك أيها المبارك هذه الغنائم: رأيٌ رشيد، وقولٌ سديد، وكلمة صادقة، وتوجيه وإرشاد، ودعوة إلى سبيل الرشاد، إنذار وإعذار، أن الفرار الفرار إلى الله، قم يا أخي مقام النذير العريان، وقف موقف مؤمن آل فرعون وعِظْ في الناس: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]، وتذكر وأنت في ثنايا الطريق أنك تجني بدعوتك هذه الثمرة العزيرة: ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ .



الثمرة الرابعة والأربعون:

مغفرة الذنوب

من أعظم ما يبشر به العبد البشارة بمغفرة الذنوب ومحو الزلات، فقد زف الله البشري للداعية إلى الله صاحب القول السيد بأن يغفر له ذنوبه، وأيم الله إن هذا لهو الفوز العظيم، يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿الأحزاب: ٧٠، ٧١﴾.

إن الداعية والمربي وناشر الخير هو صاحب القول السيد ينشره بين الناس، يدلهم على الله جل وعلا، فهو يجتذب القلوب إلى ربها، يهدي الضال، ويدل التائه، ويرشد الحيران، وظيفته الأساسية في الحياة دلالة القلوب على الله، هي همه بالليل والنهار، هي حزنه وفرحه، هي حديثه بين جُلاسائه، هي أحلامه إذا خلد إلى فراشه، وهو مع ذلك شأنه شأن غيره من البشر لا يخلو من ذنب وتقصير وزلل وخطأ، فكان من كرم الباري سبحانه أن يغفر تلك الذنوب، فتذوب في بحار حسناته، فقد ضمن الله أن يغفر له ما اجترح من خطايا، تأمل قول الباري سبحانه لمن سعى في الأرض بالقول السيد يدعو إلى الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٧١﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «ثم وعد رَضِيَ اللهُ عَنْكَ بأنه يجازي على القول السديد بإصلاح الأعمال وغفران الذنوب، وحسبك بذلك درجة ورفعة منزلة» (١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فطلب العلم من أفضل الحسنات، والحسنات يذهب السيئات، فجدير أن يكون طلب العلم ابتغاء وجه الله يكفر ما مضى من السيئات، فقد دلت النصوص أن إتباع السيئة الحسنة تمحوها فكيف بما هو من أفضل الحسنات وأجل الطاعات؟» (٢).

فكفى بذلك حاديًا ومحفزًا لك أخي المبارك لتنضم إلى قافلة الدعاة إلى الله، فهل أراك مشاركًا فاعلاً في قافلة الدعاة المباركة؟



(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/٢٥٣).

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٧٧).

الثمرة الخامسة والأربعون:

حسن الخاتمة

أمر الخواتيم أقص مضاجع الصالحين، يرهبونه ويخافونه، حُلْمُ الواحد منهم أن يوفق لحسن الخاتمة، فهل لك أخي المبارك في عمل يضمن لك بإذن الله حسن الخاتمة ويقيك مصارع السوء والهلكات؟ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَنَّاعُ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ تَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ»^(١).

أخي المبارك، إن أعظم معروف يُقدم إلى الناس هو داللتهم على الله ﷻ وهدايتهم إلى الصراط المستقيم وذلك حصر على الدعاة إلى الله ﷻ.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وأي معروف أعظم من العلم، وكل معروف ينقطع، إلا معروف العلم والنصح والإرشاد، فكل مسألة استفيدت عن إنسان فما فوقها حصل بها نفع لمتعلمها وغيره فإنه معروف وحسنات تجري لصاحبها»^(٢).

أخي المبارك، تأمل قصة حرام بن ملحان وكيف كانت خاتمته؟ تأمل كيف فارق الحياة وودع الدنيا؟ وكيف كانت آخر لحظات عمره؟

(١) رواه الحاكم (٤٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣٧٩٥).

(٢) الفتاوى السعدية، السعدي (١١٥).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَىٰ بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقَدَّمُكُمْ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِلَّا كُتِّمْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا، فَتَقَدَّمَ فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَوْمَأُوا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ، فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ مَالُوا عَلَىٰ بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ، فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا رَجُلًا أَعْرَجَ صَعِدَ الْجَبَلَ، قَالَ هَمَّامٌ: فَأَرَاهُ آخَرَ مَعَهُ، «فَأَخْبَرَ جَبْرِيلُ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ، أَنَّهُمْ قَد لَقُوا رَبَّهُمْ، فَرَضِي عَنْهُمْ، وَأَرْضَاهُمْ»، فَكُنَّا نَقْرَأُ: أَنْ بَلَّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَّا، وَأَرْضَانَا ثُمَّ نُسِّخَ بَعْدُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا عَلَىٰ رِغْلٍ وَذَكَوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَبَنِي عَصِيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ» (١).

وعن أنس بن مالك قال: «لَمَّا طَعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ وَكَانَ خَالَهُ يَوْمَ بَيْتِ مَعُونَةَ قَالَ بِاللَّيْلِ هَكَذَا فَضَحَّهٗ عَلَىٰ وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ» (٢).

والله ما أجمل خاتمة حرام بن ملحان رضي الله عنه وأرضاه، لقد كان مشغولاً بالدعوة إلى الله، ودلالة الناس عليه والحرص على هدايتهم حتى ختم الله له بهذه الخاتمة، فهو يلهج بالفوز (فزت ورب الكعبة) وأي فوز أعظم من فوزه، لقد فاز برضوان الله، فما أعظم الخاتمة، وتعال معي أخي إلى الإمام ابن القيم يجلي هذه

(١) رواه البخاري (٢٨٠١).

(٢) رواه البخاري (٤٠٩٢).

الحقيقة فيقول: «فمن كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أخرج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله، ومن كان مشغولاً بغيره في حال حياته وصحته فيعسر عليه اشتغاله بالله وحضوره معه عند الموت، ما لم تدركه عناية من ربه، ولأجل هذا كان جديراً بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان، لأجل تلك اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد، فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته»^(١).



(١) طريق الهجرتين، ابن القيم (٤٥٩).

الثمرة السادسة والأربعون:

الفوز برضوان الله

الفوز برضوان الله مطلب عزيز المنال، ولذا كان أعظم ما يعطي الله عباده عندما يلقونه في الجنة أن يحل عليهم رضوانه، كما في حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

ومن أعظم أسباب الفوز برضوان الله الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة، فعن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرْنَبِيِّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ...»^(٢).

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٣٩٥٩).

يلتق الإمام الطيبي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الْحَدِيثِ السَّابِقِ فَيَقُولُ: «فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ:

يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ؟ وَمَا فَائِدَةُ التَّوْقِيتِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ؟ قُلْتَ: مَعْنَى كِتَابَةِ رِضْوَانِ اللهِ؛ تَوْفِيقَهُ لِمَا يَرْضِي اللهُ تَعَالَى مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ لِيَعِيشَ فِي الدُّنْيَا حَمِيدًا، وَفِي الْبَرْزَخِ يُصَانُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيُفْسَحَ لَهُ قَبْرُهُ، وَيُقَالُ لَهُ: نَمَّ كَنُومَةُ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، وَيَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَعِيدًا، وَيُظِلُّهُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ، ثُمَّ يَلْقَى بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ، ثُمَّ يَفُوزُ بِلِقَاءِ اللهِ» (١).

أَيُّهَا الْمُرَبِّي وَالدَّاعِيَّةُ، تَدَارِكُ مَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِكَ بِنَشْرِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ مَا بَيْنَ نَصِيحَةٍ فَرْدِيَّةٍ، وَمَوْعِظَةٍ جَمَاعِيَّةٍ، وَخُطْبَةٍ، أَوْ مُحَاضَرَةٍ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٍ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَنُصْرَةٍ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَلَا تَتَرَدَّدُ فِي إِقَاءِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَقَدْ تَقُولُ كَلِمَةً لَا تَلْقَى لَهَا بَالًا وَلَا تَظُنُّ أَنَّ تَبْلُغُ مَا بَلَّغْتَ، فَتَفُوزُ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ وَتَظْفَرُ الظَّفَرَ الْمُبِينِ.

هَذَا الْإِمَامُ ابْنُ حَجْرٍ رَحِمَهُ اللهُ يَحِثُّ عَلَى اغْتِنَامِ فُرْصِ الْخَيْرِ فَيَقُولُ: «فَيَنْبَغِي

لِلْمُرءِ أَلَّا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَجْتَنِبَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَرْحَمُهَا اللهُ بِهَا، وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسْخَطُ عَلَيْهَا» (٢).

(١) تحفة الأحمدي، المباركفوري (٦ / ١٠٤).

(٢) فتح الباري (١١ / ٣٢١).

أخي الداعية، تخيل نفسك وقد كتب الله لك الرضوان، تخيل خروجك من هذه الحياة وقد طرق سمعك قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، وتخيل نفسك في عرصات القيامة، وقد أخذت كتابك بيمينك تباهي الجموع بما حققت من فوز، تُبشِّرُ بَرِّضْوَانَ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيهَ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤].

لقد أسلفت في أيامك الخالية دعوة إلى الله، كلمة طيبة، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، إصلاحًا بين متخاصمين، نصيحة وتوجيهًا، تربية وإصلاحًا، فظفرت بالرضوان، والفوز بالجنان، طاب العمل فطابت الثمرة بإذن الله.



الثمرة السابعة والأربعون: الفوز بأجر أفضل الصدقات

الصدقة تطفئ غضب الرب، وهي برهان على إيمان العبد، وقد يحسب العبد أن الصدقة مقصورة على المال، والحق أن من أعظم الصدقات الكلمة الطيبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ﷻ، فصدقة المال والطعام تنمي الجسد، وصدقة العلم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تغذي القلب وتنميه وتشافي سقمه وتجلب السعد والهناء للروح، فستان شتان بين الصدقتين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الْكَلِمَةُ الطَّيْبَةُ صَدَقَةٌ» (١).

«والكلمة الطيبة تشمل النصيحة للخلق بتعليمهم ما يجهلون، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، وتشمل الكلام السار للقلوب، الشارح للصدور، المقارن للبشاشة والبشر، وتشمل الذكر لله والثناء عليه، وذكر أحكامه وشرائعه، فكل كلام يقرب إلى الله ويحصل به النفع لعباد الله، فهو داخل في الكلمة الطيبة» (٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ

(١) رواه الإمام أحمد (٨٩٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٨٦٥٧).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار، السعدي (ص ١٨١).

عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ» (١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا نكَّرَه، والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، وقد يتعين، ولا يتصور وقوعه نفلًا، والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل، ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل» (٢).

أخي المبارك تأمل وصية معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قرية» (٣).

وإذا كان النبي ﷺ جعل سقي الماء للظمان أفضل الصدقة كما في حديث سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَقْيُ الْمَاءِ» (٤)، فكيف بمن يسقي القلوب الظمآنة المتعطشة بغيث الوحي الذي جاء به محمد ﷺ، فعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير

(١) رواه مسلم (٧٢٠) و(١٠٠٦).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي (٤ / ٧٨).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١ / ٢٣٩).

(٤) رواه أحمد (٢٢٤٥٩)، وابن ماجه (٣٦٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٦٧٤).

أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(٥).

يا حامل مشعل الهداية وراية الإصلاح إنك تحمل غيث القلوب وريّها الذي به تزكو وتصلح وتخضر، فأنت تبذل أعظم الصدقات وأزكاها، فاجتهد في نشر الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، وتذكر قول أبي الدرداء رضي الله عنه: «ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله ﷻ من موعظة يعظ بها قومه فيفترقون قد نفعهم الله ﷻ بها»^(٦).



(٥) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

(٦) صفة الصفوة، ابن الجوزي (١ / ٢٤٢).

الثمرة الثامنة والأربعون:

الفوز بأجر المجاهد في سبيل الله

«قوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير، والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين، لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه»^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً أَيْبِكُمْ لِزَيْهِيمًا﴾ [الحج: ٧٨].

يقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والجهاد بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذلك»^(٢).

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»^(٣).

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٨٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٤٦).

(٣) رواه أحمد (١٣٦٣٨)، وأبو داود (٢٥٠٤)، وصححه الألباني في صحيح المشكاة (٣٨٢١).

فالدعوة إلى دين الله ونشر هدي النبي ﷺ «وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، و أما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله منهم بمنه وكرمه» (١).

إن طلب العلم ونشره بين الناس من أعظم الجهاد في سبيل الله حتى قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه» (٢).

وصرح الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بفضل أجر العالم المبلغ للعلم على أجر الجهاد في سبيل الله فقال: «العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله» (٣).

وأقسم ابن مسعود رضي الله عنه على ذلك فقال: «فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء، لما يرون من كرامتهم» (٤).

وقدم علقمة بن قيس رضي الله عنه حب تبليغ العلم والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله

(١) جلاء الأفهام (ص: ٤١٥).

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٣١).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١٨٨).

(٤) سنن الصالحين وسنن العابدين، الباجي (١ / ٢٤٧).

فقال: «لأن أعدو على قوم أسألهم عن الله ويسألوني عن الله تعالى، أحب إلي من أن أحمل فرسي في سبيل الله ﷻ» (١).

إن أمة الإسلام اليوم في أمس الحاجة إلى هذا النوع من الجهاد، فهو من أوجب الواجبات، خاصة في هذا الزمان، الذي وظف فيه الأعداء الآلة الإعلامية بكل وسائلها في حرب الإسلام وأهله، والسعي لتشويهه وتشكيك الناس فيه حتى وصل خطرهم إلى ديار المسلمين، «فإذا كان الغزو من الكفار للمسلمين في عقر دارهم بهذه الوسائل والمعاول الخطيرة والتي يباشر الكفار بعضها وينيون إخوانهم من المنافقين في بعضها؛ فإن الجهاد بالبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمدافعة والتحصين يصبح واجباً عينياً على كل قادر من المسلمين كل بحسبه، وإن التقاعس أو التشاغل أو التخاذل لهذا الضرب من الجهاد يُخشى أن يكون من جنس التولي يوم الزحف، وتقديماً للعالمية الفانية على محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله تعالى، ولا يبعد أن يكون من المعنيين بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

هذا وإن كانت هذه الآيات في جهاد الكفار في ساحات القتال؛ فما الذي

(١) المصدر السابق (١ / ٢٤٧).

يمنع من أن تشمل أيضًا القاعدين عن جهاد الكفار والمنافقين بالبيان والمدافعة لأفكارهم الخبيثة وأخلاقهم السافلة، والوقوف أمام وسائلهم ومخططاتهم المختلفة وتحصين الأمة وتحذيرها منها! فلقد قال الله ﷻ أمرًا نبيه محمدًا ﷺ في سورة مكية بمجاهدة الكفار بالقرآن قبل فرض الجهاد عليهم بالقتال؛ وذلك في سورة الفرقان؛ حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة والرأي والتدبير والصناعة؛ فيجب بغاية ما يمكنه». ولا يعذر أحد من المسلمين في النفرة لهذا الجهاد كل بحسب علمه وقدرته»^(١).

أخي المبارك دونك الجهاد بالحجة والبيان فقد بين العلماء أن هذا النوع من الجهاد أفضل من سابقه، وهو فضل الرحمن وكرم المنان، فكن من أهل هذا الجهاد ولا تكسل عنه فتكون من أهل الحرمان، وأنت تعلم ما أعد الله للمجاهدين في سبيله من الأجر والثواب، أسأل الله الحي القيوم أن يكتبنا في عدادهم بمنه وكرمه.



(١) الأحداث المعاصرة في ضوء السنن الربانية، الجليل انظر، صيد الفوائد <http://www.saaaid.net/>

الثمرة التاسعة والأربعون: خشية الله

مقام الخشية جامع لمقام المعرفة بالله والمعرفة بحق عبوديته، فمتى عرف الله وعرف حقه اشتدت خشيته له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ فالعلماء به وبأمره هم أهل خشيته؛ قال النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»^(١).

«فإنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنی، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»^(٢).

وعلى كل تقدير فهو سبحانه قد عين في هذه الآية أهل خشيته وهم العلماء به وتعظيم قدرته قال مجاهد: «إنما العالم من خشي الله ﷻ»، وقال مسروق: «كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاعتزاز بالله جهلاً، فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له»^(٣).

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (١/١٣٦)، ولفظ الحديث عند البخاري (٥/ ٢٢٦٣) «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية».

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني (٤/ ٤٣١).

قَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ: «أَفْتِنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ

اللَّهُ ﷻ» (١).

تأمل تعليق الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ﴾ **حيث قال:** «إنما يخشى الله من عباده العلماء يقتضي الحصر من الطرفين،

أن لا يخشاه إلا العلماء ولا يكون عالمًا إلا من يخشاه، فلا يخشاه إلا عالم وما من

عالم إلا وهو يخشاه، فإذا انتفى العلم انتفت الخشية وإذا انتفت الخشية دلت على

انتفاء العلم» (٢).

تأمل كيف قرن الله بين البلاغ والخشية عند مدحه لرسله عليهم الصلاة

والسلام في قوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ حَدًّا لَّأَنَّهُ

وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]؛ فالآية تشير إلى أن التقصير في تبليغ دين الله والدعوة

إليه منافٍ لكمال الخشية، فمقتضى الخشية لله ﷻ تبليغ دينه ونشره مهما كانت

العوائق والعقبات.

الخشية هبة ربانية يهبها الله للعلماء الربانيين؛ الذين اجتهدوا في الدعوة إلى

الله وتربية الناس على هدي الكتاب والسنة، قال إبراهيم الخواص: «أول ما يهب الله

تعالى للعالم الرباني خشيته» (٣).

(١) معالم التنزيل، البغوي (٦ / ٤١٩).

(٢) شفاء العليل، ابن القيم (١ / ١٧٢).

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (١٤ / ٤٢٨).

الثمرة الخمسون:

أجر حجة تامة

الحاج وافد على الله ﷻ، خطوه مبارك، وسعيه مشكور، وذنبه بإذن الله مغفور، يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، تأمل معي ماذا قال النبي ﷺ في بيان عظيم أجره وعاقبة سعيه: «أَمَّا خُرُوجُكَ مِنْ بَيْتِكَ تَوُّمَ الْبَيْتِ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ وَطْأَةٍ تَطَوُّهَا رَاحِلَتُكَ يَكْتُبُ اللَّهُ لَكَ بِهَا حَسَنَةً، وَيَمْحُو عَنْكَ بِهَا سَيِّئَةً، وَأَمَّا وَقُوفُكَ بِعَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَبْأِهُنَّ بِهِنَّ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُ: «هَؤُلَاءِ عِبَادِي جَاءُوا نِي شُعْنًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي، وَلَمْ يَرَوْنِي، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ رَمْلِ عَالِجٍ، أَوْ مِثْلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَوْ مِثْلُ قَطْرِ السَّمَاءِ ذُنُوبًا غَسَلَهَا اللَّهُ عَنْكَ، وَأَمَّا رَمْيُكَ الْجِمَارَ فَإِنَّهُ مَذْخُورٌ لَكَ، وَأَمَّا حَلْقُكَ رَأْسَكَ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَسْقُطُ حَسَنَةً فَإِذَا طُفَّتَ بِالْبَيْتِ خَرَجْتَ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» (١).

أخي الداعية، كل هذه الأجر التي أعدها الله للحاج، يحوزها معلم الخير في كل غدوة يغدوها إلى بيت من بيوت الله للدعوة والتعليم؛ فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٣٥٦٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٤٠).

أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ» (١).

أخي، سائل نفسك وأنت تتنقل بين بيوت الله تُعَلِّم وتُدَعُو، وتذكر وتعظ،

وتنصح وتبشر، كم حجة تضيفها إلى رصيد حسناتك؟ فدونك هذه الغنائم!



(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٨٦).

الثمرة الحادية والخمسون: دخول الجنة

الجنة سلعة الله، وسلعة الله غالية، تتوق إليها نفوس الأبرار، وبها يحلم المصطفون الأخيار، وأعظم ثمرة يحصلها الدعاة إلى الله ﷺ دخول الجنة، والانضمام إلى الركب المبارك ركب الدعاة إلى الله ﷺ، هذا أحد أولئك الركب يحكي الله لنا قصته وهو يعاين ما أعد الله له في الجنة فيقول ﷺ: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

لقد أبصر هذا الداعية نعيم الجنة وما أعد الله له من الكرامة، فتمنى لو أن قومه عاينوا ما عاين من العزة والكرامة والنعيم المقيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

مشهد مؤثر تعرضه قصة هذا الداعية؛ قصة اتصال الحياة الدنيا بالحياة الآخرة، حين يكون الموت نقلة من عالم الفناء إلى عالم البقاء، وخطوة يتخلص بها المؤمن من ضيق الأرض إلى سعة الجنة، ومن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق، ومن تهديد البغي إلى سلام النعيم، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين. ونرى الرجل المؤمن، وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة،

فيذكر قومه وهو طيب القلب رضي النفس، يتمنى برأفة الداعية المخلص المشفق على قومه من الهلكة يتمنى لو يراه قومه، ويرون ما آتاه ربه من الرضى والكرامة، ليعرفوا الحق معرفة اليقين، لله ذلك القلب وهو يطلق تلك الأمنية ﴿يَلَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ﴾ ليهتدوا ويرعوا عن الكفر بالمرسلين، هكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، يصبرون في الدعوة والبلاغ، ويحدوهم إلى ذلك قول مؤمن آل ياسين: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ فطوبى لمن ظفر بذلك النعيم، وكان في ركب الأنبياء والصديقين، والعلماء الربانيين، والدعاة الناصحين، وحسن أولئك رفيقاً.

تأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (١).

قال المناوي رحمته الله: «والمعنى سهل الله له بسبب العلم طريقاً من طرق الجنة، وذلك أن العلم إنما يحصل بتعب ونصب، وأفضل الأعمال أحزمها، فمن تحمل المشقة في طلبه سهلت له سبل الجنة... قال ابن جماعة: والأظهر أن المراد أنه يجازيه يوم القيامة بأن يسلك به طريقاً لا صعوبة له فيه ولا أهوال إلى أن يدخله الجنة سالمًا، فأبان أن العلم ساعد السعادة، وأس السيادة، والمراقبة إلى النجاة في الآخرة، والمقوم لأخلاق النفوس الباطنة والظاهرة، فهو نعم الدليل والمرشد إلى سواء السبيل» (٢).

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) فيض القدير، المناوي (٦/ ١٩٩، ٢٠٠).

أخي المبارك، إذا كان سالك طريق تحصيل العلم يسهل الله له طريقًا إلى الجنة، فكيف بمن يبلغ العلم وينشره بين الناس ويربيهم به، لا شك أنه من أهدى الناس إلى الطرق الموصلة إلى جنة الله، إن الداعية إلى الله هو داعٍ إلى جنة الله ورضوانه، والجزاء من جنس العمل.

تخيل نفسك أيها الداعية، وقد خرجت من هذه الحياة تزف إلى جنة الله بيسر وسهولة دون مشقة أو عناء، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَالِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيَّكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، تخيل نفسك وأنت تجالس سيد المرسلين وإمام الداعين، تخيل نفسك وأنت تنتقل في الملك العظيم الذي وهبك الله إياه.

أخي المبارك، حدِّث نفسك ببعض أخبار ذلك النعيم لعله يكون حاديًا لك إلى بلاد الأفراح.

قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤٠) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤١) ﴿فَوَكَّاهُمْ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ (٤٢) ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (٤٣) ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٤) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ (٤٥) ﴿بِضْرَاءٍ لَّدَى الشَّرْبِيبِ﴾ (٤٦) ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾ (٤٧) ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ﴾ (٤٨) ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٤٩)

[الصافات: ٤٠ - ٤٩].

وقول الله تعالى: ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾
الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٣-٣٥﴾ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ:
«لِبِنَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَلِبِنَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ، مِلاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ،
وَتُرْبَتُهَا الْوَرُوسُ وَالزَّرْعَفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا يَبْلَى
شَبَابُهُمْ، وَلَا تَحْرَقُ ثِيَابُهُمْ» (١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلُّ
جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا،
فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اِزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ
بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا» (٢).

وفي وصف نساء الجنة يحدثنا أبو هريرة رضي الله عنه، فيقول: قال رسول الله ﷺ:
«أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا
يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، آتِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،
وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مِخُّ سَوْقِيهِمَا

(١) رواه أحمد (٩٧٤٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٧٣٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٣).

مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «... وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِفُهَا -يَعْنِي الْخِمَارَ- خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «يا أيها العاشق سمعه قبل طرفه، فإن الأذن تعشق قبل العين أحيانًا، وجيش المحبة قد يدخل المدينة من باب السمع، كما يدخلها من باب البصر، والمؤمنون يشتاقون إلى الجنة وما رأوها، ولو رأوها لكانوا أشد لها شوقًا، والضرورة يكاد قلبه يذوب شوقًا إلى رؤية البيت الحرام، فإن شاقتك هذه الصفات وأخذت بقلبك هذه المحاسن (٣)؛

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا

مَنَارِكَ الْأُولَىٰ بِهَا كُنْتَ نَازِلًا

وَلَكِن سَبَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا

وَقَفْتَ عَلَى الْأَطْلَالِ تَبْكِي الْمَنَارِلَا

(١) رواه البخاري (٣٢٤٥).

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٦).

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم (٢٤١).

فَدَعَهَا رُسُومًا دَارِسَاتٍ فَمَا بِهَا
مَقِيلٌ وَجَاوِزَهَا فَلَيْسَتْ مَنَازِلًا
رُسُومًا عَفَتْ يَتْتَابُهَا الْخَلْقُ كَمَ بِهَا
قَتِيلٌ وَكَمَ فِيهَا لِدَا الْخَلْقِ قَاتِلًا
وَأَخَذَ يَمَنَّةً عَنْهَا عَلَى الْمَنَهْجِ الَّذِي
عَلَيْهِ سَرَى وَفَدَا الْأَحِبَّةَ أَهْلًا
وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصَّبْرِ سَاعَةً
فَعِنْدَ اللَّقَا ذَا الْكَدِّ يُصْبِحُ زَائِلًا
فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي
وَيُصْبِحُ ذُو الْأَحْزَانِ فَرِحَانَ جَاذِلًا

لقد حرَّك الداعي إلى الله، وإلى دار السلام النفوس الأبيَّة، والهمم العالية،
وَأَسْمَعَ منادي الإيمان مَنْ كانت له أُذُنٌ واعية، وأسمع الله مَنْ كان حيًّا، فهزَّه السماعُ
إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره، فما حطَّت به رحالُه إلا بدار القَرَارِ^(١).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣/ ٧٦).

لمن القطوف؟

ضيضي العزيز الذي أقدم له هذا القطوف من أطيب الثمار هو:

﴿ **أولاً:** كل داعية عمّر وقته بخدمة الدين، وأوقف حياته لله، فهو يدعو إلى دين الله بقوله وفعله وسمته وأدبه وأخلاقه، قلبه معلق بالله لا يفتر عن ذكره والتذكير به يصدق عليه قول القائل:

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وذكرك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثي بين جلاسي

ما أطيب أيامه ولياليه، فكل ساعة ودقيقة من عمره لله وبالله، إن جالس أناسًا تسلل إلى قلوبهم بطيب حديثه، ودماثة أخلاقه، ولينه ولطفه، وإن مر بشباب تقرب إليهم ولم يحرمهم نصحه وتوجيهه، وإن كان في مسجد رأيتَه مذكرًا واعظًا، له من كل وسيلة من وسائل الدعوة سهم، فمرة ينصح ومرة يهدي كتيبًا أو مطوية ومرة يدعو بأدبه وسمته وأخلاقه، ومرة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومرة يشارك في الإعلام، ومرة ينشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومرة...

﴿ **ثانيًا:** كل معلم استشعر مهمته في الحياة، وأن دوره الحقيقي أن يكون مربيًا للأجيال، وصانعًا للعقول، ومبشرًا بخير الأديان، يوظف مهنته لخدمة دينه،

تراه شعلة من النشاط، فهو يستغل كل وقت يقضيه مع طلابه في الدعوة إلى الله ﷻ، من باكورة الصباح إلى نحر الظهر، بل يتعدى ذلك إلى أنشطة المساء، وزيارة البيوت، يغمر طلابه بلطفه ولينه وحسن خلقه، متأسيًا برسول الله ﷺ حين قال الله عنه: ﴿فِيمَا رَحِمْتِ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، يأسر قلوب الطلاب، يرحمهم ويحنو عليهم، همه الأكبر كيف ينقذهم من الضلالة، ويجتذبهم إلى ساحة الهدى، يتفنن ويبدع في أساليب دعوته، يحرص على مواكبة عصره، يلتمس احتياجات طلابه فيسعى لتحقيقها، يعين محتاجهم ويحل مشاكلهم، يفرعون إليه في النوائب، فله دره من مربٍّ، كم هدى الله على يديه من أبناء المسلمين.

﴿ **نَالثًا:** كل إمام وخطيب أحيى دور المسجد الحقيقي، وأعاد رسالته التربوية والدينية والاجتماعية والعلمية، فهو جامعة الحي ومدرسته، هو الإمام، والخطيب، والمعلم، والمصلح، والمستشار، والراعي لحلق التحفيظ.

إذا دخلت مسجده أصابتك الحيرة، أي البرامج تتابع؟ الدروس العلمية؟ أم حلقات التحفيظ؟ أم القراءة أذبار الصلوات؟ أم المجالات الحائطية المتجددة؟ أم رسالة الشهر؟ أم ملتقى جماعة المسجد الشهري؟ أم حل مشكلات الحي؟ أم روعة الخطبة وقوة تأثيرها؟ أم توافد المصلين على المسجد بسببها أم شيء آخر؟.

﴿ رابعاً: كل فتاة حملت هم الدعوة إلى الله أخلصت النصح لبنات جنسها، وأدركت دور الفتاة المسلمة الحقيقي في نصرته الإسلام، وأدركت عظم المكر والكيد الذي يحاك لأخواتها من خفافيش الظلام التي تريد إفسادها، والإفساد بها، فأخذت على عاتقها هم إصلاح الفتاة المسلمة، وتذكيرها بما يراد منها و تنبيهها عما يكاد لها، جندت نفسها للدعوة إلى الله، في المدرسة، وفي دور التحفيظ، وفي الجمعيات النسائية، وفي المناسبات العامة، لا تراها إلا حاملة لمشعل الهداية، تثير به الدرب لكل من تاهت في ظلمات الضلال، تبذل وقتها ومالها وراحة جسدها فداء لدينها، فما أعظمها، وما أعزها، وما أكرمها، وما أجدرها بجني تلك الثمار.

﴿ خامساً: كل أبوين استشعرا الأمانة الملقاة عليهما تجاه ذريتهما، فقاما على تربيتهما تربية إسلامية، فنشأت على القرآن والصلاة والذكر وآداب الإسلام، جعلاً هدفهما في الحياة إخراج جيل مسلم تربي على القرآن والسنة، واقتنيا آثار محمد بن عبد الله ﷺ، وفروا لأبنائهما برامج تسهم في إصلاحهم، نوعاً الوسائل، وجددا الأساليب، واسترخصا الغالي، وتجشما الصعاب، تحلوا بالصبر والاصطبار، ليقوما بوظيفتهما خير قيام، وهما يطمعان ويحلمان أن يكونوا ممن قال الله عنهم:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ آلْحَقْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ .

﴿ سادساً: كل طيب جعل من تخصصه سبيلاً لعون الناس وخدمتهم

وتخفيف معاناتهم، وساهم في علاج أبدانهم وهداية قلوبهم وتعريفها بالله، وُضرب له بسهم في الجمعيات الصحية الخيرية، مستشعراً قول رسول الله ﷺ: «**ابْعُونِي ضُعَفَاءَكُمْ، فَإِنَّمَا تُرَزَقُونَ وَتُنصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**»^(١).

﴿ **سابعاً:** كل عامل في جمعيات تحفيظ القرآن والدعوة والبر ورعاية الشباب والفتيات، والجمعيات الصحية، فلهم من تلك القطوف القدح المعلى، فهم من يخطط وينفذ ويحرك الطاقات لنشر كتاب الله وسنة رسوله وبذل الخير للناس.

﴿ **ثامناً:** كل من بذل ماله لتحفيظ كتاب الله ونشر سنة نبيه والدعوة إلى الله وساهم بماله في نشر الخير وسد حاجة المحتاجين، فكل خير يقدم فهو شريك في الأجر بإذن الله.

إلى كل أولئك أهدي هذه القطوف.



(١) سنن الترمذي (١٧٠٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٧٩).

يا راغب القطوف غير قدميك

أخي المربي والمصلح والداعية، إني على يقين تام أنك في غاية الشوق إلى الفوز بتلك القطوف، ولكن الأمر يحتاج إلى شيء من الكدح، ومن يخطب الحسنة لم يغلها المهر.

أخي الحبيب، اعلم أن طريق الدعوة شاق مضني، فيه عقبات وعقبات، ولكن ما ترجو قطافه من ثمراتها يسهل عليك كل العقبات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بحسب ركوب الأحوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان ولا قوة إلا بالله، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

ولا ريب عند كل عاقل أن كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب كمال المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام، فأما هذه الدار فكلا ولماً»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء.

كذا المعالي إذا ما رمت تدركها

فاعبر إليها على جسر من التعب»^(٢).

فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة فلا تقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد، قال مسلم في صحيحه: قال يحيى بن كثير: «لا ينال العلم براحة الجسم، وقد قيل من طلب الراحة ترك الراحة.

فيا وصل الحبيب أما إليه بغير مشقة أبداً طريق

ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف، ولكن حفت بحجاب من المكاره، وحجبوا عنها بحجاب من الجهل، ليختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم»^(٣).

(١) مفتاح دار السعادة (٣٧٢، ٣٧٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (ص ٣٥٢).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١٣٠، ١٣١).

حين وصل معاوية بن خديج المدينة ظهرًا مبشرًا أمير المؤمنين بفتح الإسكندرية مال إلى المسجد ظانًا أن عمر في قيلولة، فأرسل إليه عمر، فقال له: «ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: إن أمير المؤمنين قاتل. قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت، لئن نمت النهار لأضيعنَّ الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعنَّ نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟!» (١)، وهي كذلك والله، فأتى للداعية كثرة النوم والراحة وهو يحمل هم هداية الناس وصلاحهم؟! إن نام أو استراح بالنهار ضيع من يسعى لهدايتهم ومن يقوم على تربيتهم. وإن نام آخر الليل ضيع نصيبه من صلته بربه وصلاح نفسه.

كلا، إن الداعية بمجرد قبوله هداية الله وانخراطه في الدعوة والإصلاح ونشر الخير بين الناس فقد اختار التعب، وطلق الراحة والدعة، ولذلك لما قيل لأحد السلف: «ما الذي ينقص العزم؟ قال: طول الآمال، وحب الراحة» (٢).

يلزمك أيها المربي والداعية أن تعرف أن علامة توفيقك: الكد والتعب والسهر، ولذة الأحرار إنما يفجرها البذل والعطاء، ولو عرف المتخلف المنعزل ما يغمر الباذل لنفسه في الله من نشوة وفرح غامر وأنس وسعاد، لزاحمه وسابقه ونافسه ولكن فاقد الشيء لا يعطيه.

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (٦٤٦).

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (١٩ / ٥).

أخي الحبيب، تذكر وأنت تجهد في تبليغ دين الله تُسهر ليلك وتُتعب نهارك، قول النبي ﷺ: **«طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقية كان في الساقية، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»**(١).

كان الحسن البصري يردد: «إن هذا الحق ثقيل، وقد جهد الناس وحال بينهم وبين كثير من شهواتهم، وإنه والله ما يسير على هذا الحق إلا من عرف فضله، ورجا عاقبته»(٢).

فمن عرف جمال العاقبة ولذتها سار، ومن سار سافر، ومن سافر جاب، ومن جاب تغبر، فمن ثم لا يصدق اصطلاح (الداعية) إلا على من كان أشعث، وتلك هي ملامح صورته التي رسمها الشاعر فمن نظر إلى داعية مسلم وجده:

أخا سفر جواب أرض تقاذفت به فلوأت فهو أشعث أغبر

فهو غير قاعد فضلاً عن أن يكون راقداً، وإنما يصرف ساعات ليله ونهاره في التجوال، داعياً امرأً ناهياً مريباً مصلحاً، فإذا رجع إلى بيته عند منتصف الليل، ورأى الغبار يعلوه، ابتسم فمه وضحك قلبه، وقال لنفسه: قال رسول الله ﷺ: **«من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»**(٣) فينام مسروراً بما جمع من هذا الغبار،

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٢٥).

(٣) رواه البخاري (٩٠٧).

وينام غيره مسرورًا بما رصد في البنوك من دولار ودينار (١).

أخي الحبيب، إننا لن نحقق نصرًا لديننا ونُحدث أثره في الحياة، حتى نُخلص له، ونبذل في سبيله النفس والنفيس، ونستشعر أن الدعوة إليه هي وظيفة الحياة، نجد فيها أنسنا وسعادتنا، فهي روحنا وريحاننا، بل قرة عيوننا.

ونجاح الداعية لا يكون إلا بإخلاصه لدعوته، فإن العامل الأساسي للنجاح ليس هو كثرة علم الداعية، ولا قوة بيانه وسحره، ولكن هنالك عاملاً قبل كل هذه الأمور: هو الإيمان بالدعوة التي يدعو إليها، والخوف الشديد مما يعتربها، والشعور بالأخطاء التي تقع بسبب إهمال الدعوة، إن مثل هذا الإنسان يصيح بالناس ويترك أقوى الآثار ولو كان أبكم.

ولذا يحسن بنا أن نتذكر دائماً أنه إنما يوصل الداعية إلى غايتها شغفه بدعوته وإيمانه، واقتناعه بها وتفانيه فيها، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله، وذلك هو الشرط الأساسي والسمة الرئيسية للدعاة الناجحين، والله لا نجاح للدعوة ولا وصول إن أعطيناها فضول الأوقات، ويظهر جلياً هذا المعنى في سير الأنبياء والمصلحين، فهذا هو نوح عليه السلام يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: ٥]، ويقول: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۗ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: ٨، ٩]، وبقي مخلصاً في تلك السنوات الطوال (ألف سنة إلا خمسين عاماً) لم ينقطع عن ذلك

(١) بوارق دعوية، مالك سيف (٩١).

إلا لحضور منيته عليه صلوات الله وسلامه (١).

يكفي الداعية إلى الله ﷻ وهو يقوم بدعوته، ويواجه المشاق، ويتكبد العناء، ويرى الباطل وهو ينتفش، يكفيه أن يملك من عناصر القوة ما لا يملكه خصومه وأعداؤه.

إن الدعاة إلى الله تبارك وتعالى يملكون جوانب من القوة لا يملكها

غيرهم، ومنها :

♦ **أولاً:** توفيق الله وإعانتته، فالأمور كلها بمشيئة الله ﷻ، ونواصي الخلق بيده، وقد كتب الغلبة والتمكين لأوليائه ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

♦ **ثانياً:** الدعاة وحدهم هم الذين يدعون الناس إلى طريق الفطرة التي فطر الناس عليها، وإلى المنهج الذي يتفق فيه الشرع والعقل ولا يتعارضان.

♦ **ثالثاً:** أنهم يرفعون صوتهم عالياً، ويعلنون أهدافهم بوضوح، ويفتخرون بسيرهم في هذا الطريق، بخلاف غيرهم الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون.

♦ **رابعاً:** أنهم على خير إن أصابتهم سراء وتمكين شكروا، وإن أصابتهم ضراء صبروا واحتسبوا وراجعوا أنفسهم، فكان ذلك كله خيراً لهم.

(١) وصايا للداعية الجديد، عادل بن محمد العبد العالي (٧، ٨).

♦ **خامساً:** أنهم محفوفون بتأييد عباد الله وأوليائه الصالحين، فهم يرفعون أكف الضراعة لهم ويسألون الله عونهم وتوفيقهم، وكم في هؤلاء من لو أقسم على الله لأبره؟ وإنما ينصر الناس ويُرزقون بضعفائهم.

أيها الدعاة إلى الله: أنتم الأقوى لو تعلمون فسيروا في طريق الخير، وانشروا دعوة الإسلام في أرجاء المعمورة ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣١) **إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴿ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠] (١).

أيها المرابي والداعية، هيا بنا نزرع الخير، ونغرس المعروف، وننشر الدعوة إلى الله ﷻ في كل مكان.

ما أجمل حياة الدعاة إلى الله، حياة أوقفت لله، حياة العطاء والنماء، حياة البذل والفداء يضحي الداعية بكل ما يملك، يضحي بوقته وراحته بدنه وماله ويبدلها كلها بنفس طيبة رضية فداءً لدينه، وما أجمل قول القائل:

| | |
|----------------------------|-----------------------|
| سواد العين يا ديني فداك | وقلبي لا يود سوى علاك |
| نشأت على هواك فتىً وفيًا | وما عودتني إلا وفاك |
| عشقت مدى الحياة هواك صرفًا | فعزني وشرفني هواك |
| سأنشر في الوري ذكراك حتى | يفوح بكل ناحية شذاك |

(١) موقع المرابي الخاطرة الثالثة، محمد الدويش.

جعلنا الله دعاة إلى دينه، هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

اللهم توفنا مسلمين وأحقنا بالصالحين، اللهم أدخلنا برحمتك في عبادك

الصالحين، وصلّى الله وسلم على نبينا الأمين.

تم الفراغ منه بحمد الله يوم الأحد الرابع عشر من شهر ربيع الآخر من العام

الثاني والأربعين بعد الأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ، كتب الله له القبول

ونفعني به ووالدي وزوجي وذريتي وأخوتي وكل من قرأه وراجعته وكل من

طالعه وأفاد منه في الدنيا والآخرة، وجعله خالصًا لوجهه الكريم، هو المستعان

وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

محبكم: شائع بن محمد الغبيشي

shaei1406@gmail.com



المراجع

- ١- «أجنحة المكر الثلاثة»، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي.
- ٢- «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم،
الدارمي، البُستي.
- ٣- «أخلاق العلماء»، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأَجْرِيّ البغدادي.
- ٤- «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد
الملك القسطلاني.
- ٥- «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود العمادي محمد بن
محمد بن مصطفى.
- ٦- «أضواء البيان»، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني
الشنقيطي.
- ٧- «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله
ابن القيم الجوزية.
- ٨- «أوضح التفاسير»، محمد الخطيب.
- ٩- «البحر المحيط»، أبو حيان الأندلسي.

- ١٠ - «بهجة قلوب الأبرار»، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.
- ١١ - «بوارق دعوية وقطرات إيمانية»، مالك سيف سعيد.
- ١٢ - «تاريخ بغداد»، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي.
- ١٣ - «التبيان في أقسام القرآن»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ١٤ - «التحرير و التنوير»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.
- ١٥ - «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي»، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري.
- ١٦ - «التدوين في أخبار قزوين»، عبد الكريم بن محمد أبو القاسم القزويني.
- ١٧ - «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم»، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة الكفائي.
- ١٨ - «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان»، محمد ناصر الدين الألباني.
- ١٩ - «تفسير سورة آل عمران»، محمد الصالح العثيمين.
- ٢٠ - «تفسير القرآن العظيم»، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي.

- ٢١- «تيسير الكريم الرحمن»، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.
- ٢٢- «الثبات على الهداية»، محمد بن صالح المنجد.
- ٢٣- «جامع البيان في تأويل القرآن»، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري.
- ٢٤- «جامع بيان العلم وفضله»، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي.
- ٢٥- «جامع العلوم والحكم»، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحنبلي.
- ٢٦- «جلاء الأفهام»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ٢٧- «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري.
- ٢٨- «الجامع لأحكام القرآن»، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.
- ٢٩- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.
- ٣٠- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني.
- ٣١- «الدعوة إلى الله، وأخلاق الدعوة»، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ٣٢- «ذكر الله تعالى»، أزهرى أحمد.

- ٣٣- «الربانيون»، محمد أديب الصالح.
- ٣٤- «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ٣٥- «الروح»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ٣٦- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألووسي.
- ٣٧- «روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ٣٨- «زاد المسير»، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
- ٣٩- «زاد المعاد في هدي خير العباد»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ٤٠- «الزهد»، الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني.
- ٤١- «السلسلة الصحيحة»، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني.
- ٤٢- «سلسلة مدرسة الدعوة»، عبد الله ناصح علوان.
- ٤٣- «سنن أبي داود»، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني.

- ٤٤ - «سنن ابن ماجة»، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.
- ٤٥ - «سنن الترمذي»، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى.
- ٤٦ - «سنن الدارمي»، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي.
- ٤٧ - «سنن النسائي»، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي.
- ٤٨ - «سُنن الصالحين وسُنن العابدين»، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي.
- ٤٩ - «سنن الله في المجتمع من خلال القرآن»، محمد عرجون.
- ٥٠ - «شرح صحيح البخاري»، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك.
- ٥١ - «شرف أصحاب الحديث»، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي.
- ٥٢ - «شفاء العليل»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ٥٣ - «صحيح الترغيب والترهيب»، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني.
- ٥٤ - «صحيح الجامع»، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني.
- ٥٥ - «صفة الصفوة»، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
- ٥٦ - «صيد الخاطر»، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

٥٧- «طريق الهجرتين»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.

٥٨- «عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور»، محمد الصواف.

٥٩- «العقوبات»، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا.

٦٠- «علو الهمة»، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم.

٦١- «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.

٦٢- «الفتاوى»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني.

٦٣- «الفتاوى السعدية»، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.

٦٤- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

٦٥- «فتح القدير»، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني.

٦٦- «الفتح الرباني والفيض الرحماني»، عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلاني.

٦٧- «الفوائد»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.

٦٨- «ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم»، محمد بن ناصر الدين الألباني.

- ٦٩- «في الأدب العربي السعودي»، أحمد الغزاوي.
- ٧٠- «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي.
- ٧١- «الكافية الشافية»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.
- ٧٢- «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف»، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي.
- ٧٣- «مجموع فتاوى ابن باز»، عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ٧٤- «مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب»، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي.
- ٧٥- «محاسن التأويل»، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي.
- ٧٦- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي.
- ٧٧- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.

٧٨- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود

حافظ الدين النسفي.

٧٩- «المستدرک علی الصحیحین للحاکم»، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله

النيسابوري.

٨٠- «المسند»، أحمد بن حنبل الشيباني.

٨١- «مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني»، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي.

٨٢- «مفتاح دار السعادة»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم

الجوزية.

٨٣- «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، أبو العباس أحمد بن عمر بن

إبراهيم القرطبي.

٨٤- «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول»، حافظ بن أحمد بن

علي الحكمي.

٨٥- «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن

الفراء البغوي.

٨٦- «معجم الطبراني في الأوسط»، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي

الطبراني.

٨٧- «معجم الطبراني في الصغير»، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني.

٨٨- «معجم الطبراني في الكبير»، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني.

٨٩- «منهاج السنة النبوية»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني.

٩٠- «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.

٩١- «النصيحة الولدية، نصيحة أبي الوليد الباجي لولديه»، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي.

٩٢- «الوابل الصيب»، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية.

٩٣- «وصايا للداعية الجديد»، عادل بن محمد العبد العالي.

الفهرس

- إهداء ٥
- المقدمة ٦
- الثمرة الأولى: ولاية الله ومحبه ٩
- الثمرة الثانية: العزة والكرامة ١٢
- الثمرة الثالثة: الرفعة في الدنيا والآخرة ١٦
- الثمرة الرابعة: محبة النبي ﷺ ١٩
- الثمرة الخامسة: الفوز بمحبة الملائكة ٢٣
- الثمرة السادسة: دعاء المخلوقات ٢٥
- الثمرة السابعة: إرث النبوة ٢٨
- الثمرة الثامنة: بقاء الآثار بعد الموت ٣١
- الثمرة التاسعة: الهداية والثبات عليها ٣٤
- الثمرة العاشرة: فوز الداعية بأجر المهتمدين والمتفعين بدعوته ٣٨
- الثمرة الحادية عشرة: بركة الحياة ٤٤

- ٤٦ الثمرة الثانية عشرة: الحصول على أجر الرعيل الأول.
- ٤٨ الثمرة الثالثة عشرة: الفوز بالأجر العظيم.
- ٥١ الثمرة الرابعة عشرة: القبول في الأرض.
- ٥٣ الثمرة الخامسة عشرة: معية الله للداعية وذكره في الملائ الأعلى.
- ٥٦ الثمرة السادسة عشرة: إيواء الله للداعية.
- ٥٨ الثمرة السابعة عشرة: تنزل السكينة.
- ٦١ الثمرة الثامنة عشرة: صلاح القلب.
- ٦٥ الثمرة التاسعة عشر: السعادة.
- ٦٩ الثمرة العشرون: حفظ الله ورعايته.
- ٧٣ الثمرة الحادية والعشرون: الفوز بنور الله.
- ٧٦ الثمرة الثانية والعشرون: صلاح الأهل والذرية.
- ٨٠ الثمرة الثالثة والعشرون: نضارة الوجه في الدنيا والآخرة.
- ٨٣ الثمرة الرابعة والعشرون: زيادة في العلم.
- ٨٥ الثمرة الخامسة والعشرون: طوبى.
- ٨٨ الثمرة السادسة والعشرون: الإعذار إلى الله.
- ٩٢ الثمرة السابعة والعشرون: الإسهام في نصرته الإسلام.

- ٩٥ الثمرة الثامنة والعشرون: دفع الشر وتقليله.
- ٩٨ الثمرة التاسعة والعشرون: الخيرية.
- ١٠١ الثمرة الثلاثون: الذكر الحسن في الحياة وبعد الممات.
- ١٠٥ الثمرة الحادية والثلاثون: الفوز برحمة الله.
- ١٠٨ الثمرة الثانية والثلاثون: الربانية.
- ١١٢ الثمرة الثالثة والثلاثون: الإمامة في الهدى والصلاح.
- ١١٥ الثمرة الرابعة والثلاثون: الفلاح.
- ١١٧ الثمرة الخامسة والثلاثون: أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة.
- ١٢٠ الثمرة السادسة والثلاثون: إجابة الدعاء في الأزمات.
- ١٢٢ الثمرة السابعة والثلاثون: اجتماع الكلمة والسلامة من الفرقة والاختلاف
- ١٢٤ الثمرة الثامنة والثلاثون: حفظ المجتمع من الهلاك.
- ١٣٠ الثمرة التاسعة والثلاثون: الأمن من الخسران.
- ١٣٢ الثمرة الأربعون: النجاة من وعيد تضييع الرعية.
- ١٣٤ الثمرة الحادية والأربعون: السلامة من اللعنة.
- ١٣٧ الثمرة الثانية والأربعون: النجاة من عقوبة كتم العلم.
- ١٣٩ الثمرة الثالثة والأربعون: صلاح الأعمال وقبولها.

- الثمرة الرابعة والأربعون: مغفرة الذنوب ١٤٣
- الثمرة الخامسة والأربعون: حسن الخاتمة ١٤٥
- الثمرة السادسة والأربعون: الفوز برضوان الله ١٤٨
- الثمرة السابعة والأربعون: الفوز بأجر أفضل الصدقات ١٥١
- الثمرة الثامنة والأربعون: الفوز بأجر المجاهد في سبيل الله ١٥٤
- الثمرة التاسعة والأربعون: خشية الله ١٥٨
- الثمرة الخمسون: أجر حجة تامة ١٦٠
- الثمرة الحادية والخمسون: دخول الجنة ١٦١
- لمن القطوف؟ ١٦٨
- يا راغب القطوف غبّر قدميك ١٧٢
- المراجع ١٨٠
- الفهرس ١٨٩

